١٣ شهرزاد ١٣

13 Scheherazade 13

العدد ١٣

١٠ ملليات

١١ / ١٢ / ٣٩

الاشتراك بالقرش المصرى
٦٠ للجمهور فى مصر
٤٠ للطلبة « «
١٠٠ مع الجديد للجمهور « «
٧٠ « « للطلبة « «
وللخارج بزيادة ٣٠ ص لكل مجلة
الادارة : ٦٤ شارع فؤاد (بولاق)
تليفون ١٢ - ٥٣ مدينة

شهرزاد

لصاحبها ورئيس تحريرها محمد المرصفى

SCHEHERAZADE
Directeur - propriétaire :
MOHAMED EL MARSAFI
DIRECTION - ADMINISTRATION
64, Avenue Fouad 1 er
Tel : Madinah 53 — 12

في العدد القادم

تبدأ « شهر زاد » بنشر رواية غرامية ممتعة

للروائى الفرنسى المعروف : مرسيل بريفو (عضو الاكاديمى فرانسيز)

فهرس موضوعات العدد الثالث عشر

م ١٠٠ ص ٤ - مؤامرة - قصة مصرية حقيقية
« ١٠١ « ٨ - اللص البرىء
« ١٠٢ « ١٢ - غرفة الأحلام الرهيبة
« ١٠٣ ص ١٩ - الحبيب الخيالى
« ١٠٤ « ٢٧ - تظل وفية لزوجها
« ١٠٥ « ٢٨ - قصة وقصة - صور مصرية ذات
ألوان فاقعة من الحياة
م ١٠٦ ص ٣١ - الحياة والحب في مدريد
« ١٠٧ « ٣٨ - أول ماشطح نطح
« ١٠٨ « ٤٢ - ماتزوجت رجلا إلا قتل
« ١٠٩ « ٤٣ - تزوج ابنتها ممن لاتحب

فهرس للصور

١٠ - وولت يعانق نورا
١٤ - الشبح يصعد السلم
١٥ - مس هاملتون وبيتر
١٧ - عم مس هاملتون يزجر بيتر
١٨ - بيتر ومس هاملتون وعمها
٢٢ - مايزى تطل من الشرفة
٢٣ - ليستر يتفرد عن صديقيه
٢٥ - ليستر ومايزى وصديقتيها
٣١ - جوان يحمل روزا الى بيته
٣٢ - جوان وروزا وتونيلا وأندريه بالحانة
٣٣ - روزا وجوان فى صفاء الحب
٣٤ - روزا تهم بالخروج
٣٦ - جوان يكم فاه روزا ويخنقها
٣٧ - روزا فاقدة الحياة أما جوان
٤٦ - توم يقبل نانسي ويضمها بحرارة
٤٧ - اليوت ونانسي بالسياة
٤٩ - نانسي تقتل زوجها

ملكات الجمال

صورة الغلاف للآنسة
ليزى جولد ار بيتار
ملكة الجمال فى النمسا هذا العام

مؤامرة

قصة مصرية حقيقية

وقعت حوادثها فى مدينة القاهرة وقد ألبست ثوبا روائيا ليغير من معالمها دون جوهرها بعض التغيير

خيم الصمت عليهما وشردت أفكارهما، وكانت «انصاف» جالسة على المقعد متكئة على الطاولة الصغيرة وذقنها مسندة على ذراعها. وكان وجهها مكتئباً كاسفا، وبصرها شاخصا الى الفضاء تحدق فيه النظر ولا ترى منه شيئا ولكنها كانت تستعرض فى ذهنها حديث أختها الجالسة قبالتها

وكانت أختها نعيمة جالسة على مقعد أمامها واجمة الوجه تخالس أختها النظر وتنظر اليها من طرف خفى

ولاع قلب انصاف واستوقد صدرها فرفعت رأسها ورمقت أختها ببصرها ثم قالت

— وهل أنت على يقين يانعيمة ان هـذه القصة حقيقية لاريب فيها ؟

— نعم ياأختى ولهذا جئت اليك لأنذرك

فتجهم وجه انصاف وأثارت اليها بصرها وقالت

— وهل أنت واثقة أن زوجى يبادلها حبا بحب وانها قد استطاعت أن تختبل قلبه ؟

— لست من هذا على يقين وكل ما أعرفه أنها غادة هيفاء ذات حسن بارع، وجمال رائع، وثروة طائلة، وانها تعشق زوجك وتهيم بحبه، وهى لا تدخر جهدا فى سبيل اقتناصه بحبائل فتنتها وسبيه بلطف دلها. وما أحسبها الا مستطيعة اقتناصه أراد أو لم يرد!! فما يستطيع أقسى القلوب أن يقف متبلدا أمام هذا الحسن الخلاب، والعيون الساحرة وتلك الصبابة التى تشف عنها حركاتها وتنم عنها عيونها. أما أنت فتخالين انه حسبك أن يكون هو زوجك وملك يدك، وانك ذات قوام ممشوق وحسن خلاب وملاحة فاتنة فلا يخالجك شك أنه قد يفلت من بين يديك يوما. ولكن ألا تعلمين أن الرجل انما يتزوج من امرأة لا من تمثال جمل؟!. امرأة تسبيه بدلها وتشغف قلبه بعواطفها المتأججة وتفتنه بجمالها الحى. أما أنت فانك تمثلين فى داره الجمال والحسن ولكنك لا تمثلين الزوجة العاشقة المتدللة

وكانت انصاف مطرقة الطرف مضطربة البال ترتعد لوقع كل كلمة من كلمات أختها القاسية، وتستعرض حياتها فلا تجد أختها قد عدت الحقيقة المرة فى شئ

وساد صمت قليل قطعته انصاف بقولها

— ولكنك تعلمين اننى أعبده وهو نفسه يعلم علم اليقين اننى كلفة به

— اعلم ذلك ولكنى أعلم أيضا أنك باردة الطبع، وانك تدفنين حبك فى مكان سحيق من قلبك، وتخفين هواك فى زاوية مظلمة من فؤادك وانك ماسمحت لحبك يوما أن يبعث الى الحياة ويبدو فوق صفحة وجهك ويطل من عينيك. اعلم كل ذلك وقد تنكرين ولكنى رأيت هذا رأى العين حتى رثيت لحال زوجك قبل أن أرثي لحالك. وطالما عجبت: أين ذكاؤك وأين عقلك الراجح الذى طالما لذنا به جميعا فى المعضلات. أليس من العجيب يا انصاف انك لاتبصرين وجه الرأى الا فيما ليس له مساس بك؟! انك تبكين ويحق لك أن تبكى، ويؤلمنى كل الألم أن أرى عبراتك تهمى، ولكن خير لك أن تبكى من أن تفقدى زوجك

وساد الصمت مرة أخرى وشئون انصاف تسح فوق وجنتها وهى ساكتة ثم كفكفت غرب دمعها وقالت

— نعيمة اننى أجن لو اننى فقدت زوجى. اننى أعبده وأهيم بحبه

— وهل تريدين منه أن ينجم و« يضرب الرمل » حتى يعرف أنك تحبينه ؟ . وما جدواه من هذا الحب المكتوم ؟

— وماذا أفعل ؟ خبريني بربك فانني مضطربة الذهن

— أرى أن تخلعي عنك هذا الثوب الذى يخفيك عن زوجك وترفعى هذا النقاب الذى يحجب عنه وجهك وأن تسمحى لحبك أن يحيا فى وجهك وعينيك . وانى لواثقة انه سرعان ما يرتد اليك زوجك ويعود الى أحضانك ان الأمر بين يديك وهو لا يكلفك قليلا أو كثيرا

— سوف أفعل . . سوف أفعل

— نعم ولا تسمحى لهذه الفتاة أن تفوز عليك . فلست تقلين عنها جمالا وان كانت تفوقك دلالا . كونى خليعة مستهترة مع زوجك اذا ما انفردت به ثم كونى بعد ذلك كما تشائين .

***

وعادت انصاف بعد ذهاب أختها فجلست الى النافذة وأسندت وجهها الى يدها وراحت تجيل فى ذهنها مادار بينها و بين أختها من حديث .

أحست انصاف فى صميم قلبها أنها ملومة وانها هى التى دفعت بزوجها الى هذه الفتاة وانها لو لم تكن باردة الطبع كما دعتها أختها .... باردة الطبع !!؟ نعم حقا لقد كانت كذلك مع زوجها . فما كانت رغم حبها تخطو نحو زوجها خطوة وتضطره هو أن يقطع المسافة كلها حتى يصل اليها . وارحمتاه له ! لامشاحة أنه تألم كثيرا من برودة طبعها ولاذ بالصبر وهو يتجرع كل هذه الغصص . فكانت أحشاؤه تتمزق كمدا وهى لاتدرى وأنفاسه تتضرم ألما وهى غافلة . وتجلد على الرغم من كل ذلك ، فما أعرض عن حديثها يوما وما انفرجت شفتاه بكلمة تبرم أو تأفف

ونسيت انصاف فى هذه اللحظة غريمتها وجاش قلبها بالعطف على زوجها ، والرثاء له ، والاشفاق عليه ، مما عانى من ألم وقاسى من لوعة ، كانت هى — هى التى تحبه وتهواه — مبعثها . فكيف بها لو أنها لم تكن تحبه كل هذا الحب . اذن لقضى هذا الزوج المسكين حياته فى جحيم

وودت أنصاف أن يبعث الله بزوجها اليها الآن لتقبل عليه بلهفة وتحنو عليه أضلاعها وتسفر عن غرامها

وألقت نظرة على الساعة فألفت أن الوقت لم يحن بعد لعودة زوجها فراحت تفكر فى الخطة التى تنتهجها فى مقبل الأيام ، ولم تجد أمامها سبيلا لاستعادة زوجها الا أن تعود اليه زوجة حقيقية . تعنى بزوجها أكثر مما تعنى بنفسها وبطفلها ، ولا ريب أنها ستستغرق وقتا طويلا فى القيام بمهمتها واستعادة حب زوجها وثقته وقلبه ولكن الجزاء سيكون عظيما فتنعم بحبه وتستمتع بهواه ويعود الى احضانها كما كان فى مستهل حياتهما الزوجية .

وقامت انصاف الى ملابسها فانتقت ثوبا كان زوجها جم الأعجاب به فأخرجته من « الدولاب » وشرعت تتزين ثم ارتدت ثوبها فبدت وهى الجمال ممثلا .

وانبعثت تشرف على الدار التي كانت قد اسلمت أمورها الى خادماتها فوقعت أنظارها على اخطاء جمة مخجلة ، ما كانت لتوجد لو أن سيدة الدار ترقب الحال عن كثب ولكن انصاف كانت تكل الدار الى الخادمات ، وتكرس وقتها لطفلها ، وتتفرغ الى نفسها ، وشرعت تعمل بهمة لاتكل ، وتصدر أوامرها فى مختلف الشئون الى خدمها . فأحدثت فى الدار حركة لا عهد لها بها حتى عجبت الخادمات وبدت الدهشة فى وجوههن .

وبعثت انصاف بأحدى الخادمات الى الحديقة فأتت ببعض الأزهار والورود فتولت تنسيقها فى الزهريات الكثيرة الموجودة لديها وفرقتها فى الحجرات

وما انقضى وقت كثير حتى دبت الحياة فى الدار وتألقت بهجة ورونقا

ثم جلست انصاف فى انتظار زوجها راجية أن يعجب بهذا التغيير البادى فى الدار ويرى فيه بارقة لتغيير عظيم فى حياته الزوجية .

وجاء الدكتور حامد زوج انصاف فى موعده المعهود فدخل الدار فاذا بها غير ما كان يعهد بالأمس وقبل الأمس ، ورأى الأزهار والورود تزين الردهة . فعجب لهذا التغيير ولكنه لم ينبس بلفظ كعادته ولاذ بالصمت كما لاذ به هذا العهد الطويل وحيا زوجته وكانت اذ ذاك جالسة الى النافذة .

واقبلت عليه انصاف تحييه ووجهها مشرق بابتسامة فاتنة ووضعت يدها على كتفيه وقالت

— كنت أخشى أن يعوقك شىء فتتأخر عن موعدك

فدهش لهذه الحالة التى لم يرها من انصاف من قبل ولـكن دهشته زادت حين ألفاها تسند رأسها الى صدره وترنو اليه بعين والهة وفم يدعوه الى التقبيل فقال

— لم يكن هناك شىء

واغضى عن فمها واحتملت هى منه هـذا الاغضاء واخفت ألمها بابتسامة افتن من سابقتهـا ومدت ذراعها اليمنى فطوقت عنقه وشددت فى التطويق حتى اضطر ان يثنى رأسه وتقاربت الشفاه فنظر اليها نظرة الذهول وقال

— انى جائع جدا يا أنصاف فهل الطعام مهيأ ؟

— كل شىء معد كما تريد وتهوى حتى . . . .

وشدت يدها حول عنقه حتى التقت الشفاه فوضعت هى لاهو قبلة حارة ملتهبة وأغمضت جفنيها كأنما تحلق بخيالها فى فضاء الحب . فاضطرب حامد وجرت الدماء فى عروقه فوارة ملتهبة وجاش قلبه بالحب ولم يشعر بيده وهى تمتد حول خصرها فيطوقها ويلصقها به وبشفتيه وهما تطبقان على شفتيها فيطبع عليهما قبلة زاخرة بالهوى ملتهبة بالغرام .

وافاقت انصاف من غشية الحب وقالت

— أخشى أن تكون جد جائع . هأنذا ذاهبة أعد لك الطعام

فقال لها وهو مشدوه

— ولماذا لاتعده الخادمة وتحضره كالعادة؟!

— كلا فسأعد الطعام بنفسى

وفرت من بين يديه كالغزال الشارد ووقف حامد وهو ذاهل اللب من هذا التبدل الطارىء ثم تبسم وقال

— لابد أن أختهـا قد جاءت اليوم واجادت تمثيل دورها . برافو يا نعيمة . اذن فلأمثل دورى كذلك

واتسعت ابتسامته حين دخل المخدع فألفى الأزهار تستقبله وهو داخل فعاد الى غرفة المـائدة وجلس على المقعد فى انتظار الطعام

وانقضت أيام وحامد يعيش فى فردوس مقيم وانصاف مقبلة عليه بقلبها ولبها تحنو عليه أضالعها وتدأب على ابداء حبها واظهار غرامها واحسان صلتها وتجميل عشرتها

وكانت انصاف تنشط الى استقباله اذا ماوقع نظرها عليه قادما أو سمعت وقع أقدامه فتتلقاه بنفس طيبة ووجه متهلل وثغر بسـام وصدر منشرح وتخف الى قضاء حوائجه بنفسها ولا تكل امرها الى خادمة ثم تجلس اليه تسامره وتنادمه فى رقة ودلال دونه كل دلال .

وثلجت نفس حامد لهذا التطور وذلك الانقلاب واغتبط قلبه ولـكنه كان يغالب نفسه حتى لا يستخفه الفرح ويستفزه السرور فيقطع عليه تمثيل دوره ويفسد عليه أمره فما انفك يبدى لزوجته بعض التدلل « والتقل »

وكان حامد قد شكا زوجته الى اختها نعيمة للمرة الأولى فى حياته الزوجية واظهر لها ألمه من برودة طبعها وعنايتها بنفسها وابنها دونه وانها على الرغم من حبها له تنأى بجانبها عنه وتوليه صفحة اعراضها كأنما هى فارغة القلب من هواه فقالت له نعيمة لتهـدىء من سخطه وألمه

— ولـكنك تعلم أنها تحبك حبا جما وانها لا تتكلف هـذا الاعراض لتنغص عليك حياتك ولـكنه طبيعى فيها لم تستطع على الرغم من هواها العظيم أن تتخلص منه

— ولـكن حياتى منغصة سواء أكان هذا الاعراض طبيعيا أو متكلفا . وكيف يسعد الزوج بحياته الزوجية ويستمتع بها وهو يرى مثل هذا الاعراض المؤلم ؟ وما جدواى من حب لاتبدو لعينى معالمه وتدفنه هى فى مكان سحيق من قلبها ؟ أليس هو والقلى سواء ؟

وأطرقت نعيمة وقد أحست بصدق قوله ثم قالت :

— ان لك بعض الحق ولـكنك تعلم أنها لاتتعمد هذا الاعراض ولا تتكلفه وخير لنا أن نبحث عما يبعث فى نفسها الحمية ويخرجها من هذا الجمود

— ولهذا أتيت اليك فقد فكرت فى طريقة قد تؤدى إلى الغرض المنشود

ثم تبسم وقال :

— وأظن أن ليس هناك مايمنعك من الاشتراك معى فى مؤامرة صغيرة ضد أختك . ليس فيها من سوء

ثم أفضى اليها بفكرته واختتم حديثه بقوله

— ولن يخالجها شك اذا ما بلغت هذه القصة الموهومة من أختها هى . وليست القصة وحدها كافية ولـكن

التعليق عليها والضرب على النغمة المنشودة والوتر الحساس

— كل هذا هو جوهر هذه المؤامرة والغرض منها فاتقنى تمثيل دورك وأخلصى لهـا النصح فى أسلوب قاس عنيف

وتم الاتفاق وقامت نعيمة بدورها خير قيام فأثمرت جهودها أينع الثمرات

ووقف حامد يوما الى النافذة بعد تناول الغداء يدخن سيجارته وينظر إلى الأفق ويجيل فى خاطره ماحدث بينه وبين زوجته فى الأيام الأخيرة بعد زيارة أختها ورأى فيما قامت به زوجته مايرضيه كل الارضاء ولكن . . .

ولكن متى ينتهى هذا الصدود المصطنع وذلك «التقل» المتكلف ؟ انه يود أن يستمتع بحب زوجته وهواها ودلالها الجديد غير أنه مكره أن يتم دوره حتى يأتي موقف طبيعى لاغبار عليه يقطع هذا الصدود ويعيده إلى أحضان زوجته.

ودخلت انصاف فألفته واقفا فأقبلت عليه ووضعت يدها على كتفيه وقالت

— فيم تفكر أيها العزيز ؟

— فى مريض يهمنى أمره .

— أليس يكفيك الوقت الطويل الذى تقضيه فى عيادتك للتفكير فى مرضاك ؟

— اعلمى يا انصاف أن مهنتى مفضلة على كل شىء فهى فى المقدمة واذا لم يكن الطبيب مستطيعاً أن يكون طبيباً أولا وزوجا وأباً ثانيا فيجب عليه ألا يتزوج

— اذن أنت لاتعنى بأمرنا كثيرا ؟

فتردد فى القول وأخرج ساعته ونظر فيها ثم قال

— ولماذا لا أعنى؟ انى ذاهب الآن الى العيادة فقد حان الوقت وأفلت من الموقف وقد أشعل النار .

وذهب فلبس طربوشه ثم حياها مبتسما وخرج .

وجلست انصاف الى النافذة بعد خروج زوجها وهى تفكر فى حديثه . فقد أحبت أن تقف على مايكنه قلبه نحوها فألقت عليه سؤالا فاذا به يجيب عليه بسؤال غامض قد يصدر من عاشق لها كما يصدر من زاهد فيها

وتذكرت الأيام الماضية فألفت نفسها لم تدخر وسعا فى استهوائه بفتنة جمالها وحسن دلالها وانها دأبت على اثارة باعزازها وعلى توددها اليه وتقربها منه ولكنه على الرغم من هذا وذاك لاينفك يوليها صفحة اعراضه فهل نضب حبها من قلبه ودالت دولتها واحتلت هذه الفتاة قلبه ؟

قد يكون هذا محتملا وقد يؤيد هذا الاحتمال ماتراه من انقباضه عنها ولكنها مع هذا الانقباض تطالع فى عينيه حبها . وقلبها يحدثها أنه باق على عهدها محافظ على حبها، متشبث بها ، وان هذا الذى يبدو منه لم يكن إلا جفاء لا يحتمل هجمة حب ودلال

ورأت انصاف انه مادام زوجها منقبضاً عنها كل هذا الانقباض فليس من المعقول أن يتقدم اليها . واذاً فعليها هى دونه أن تخطو الخطوة الاولى . . . والأخيرة .

وكانت انصاف تنام فى مخدع مع زوجها غير أن لكل منهما سرير واحد وكانت هى تنام مع طفلها

ولما عاد الدكتـور حامد مساء لم يجد زوجتـه فى انتظاره كما اعتادت فى الأيام الأخيرة فوقف فى الردهة وقد خشى أن تكون زوجته قد سئمت اعراضه وملت انقباضه عنها فعادت الى سيرتها الاولى . فدخل المخـدع ليخلع ثيابه وليرى ماذا حدث فاذا به يرى زوجته راقدة فى سريره وهى تئن أنينا موجعا فهلع قلبه ووثب اليها وهو يقول بلهفة المحب الولهان وقد أمسك بيدها

— ماذا بك أيتها الحبيبة ؟ خبرينى بربك ماذا يؤلمك؟

— قلبى ياحامد انه موجع

فنظر اليها فاذا به يرى ابتسامة خفيفـة على ثغرها فحسب انها تريد أن تخفف عليه أله فقال

— قلبك ؟ وكيف ؟

فقالت له وهى لاتزال تبتسم — استمع الى دقاته فتعلم

فوضع أذنه على صدرها

ولفت هى ساعدها حول عنقه وقالت

— ألا تسمع صوت قلبى ؟ وهل فهمت مايقوله ؟

ونظر اليها وهو لايستطيع فكاكا وقد أشرق وجهه بنور الحب وبرقت أساريره ثم جعل يتلمس شفتيها وهو يقول

— لقد سمعت صوت قلبك منذ أمد بعيد . أما أنت فقد كنت غافلة عنه تصمين أذنيك عن ندائه

وأطبق على شفتيها بشفتيه وطبع عليهما قبلة حارة كانت مدخرة منذ عهد طويل .

المازنى (الصغير)

اللص البريء

وتنفس الصبح ، فكفت الموسيقى عن العزف ، وتخاذلت أوصال الراقصين ، ودب الكرى فى الجفون ، ووقفت « مدام تينانت » الشابة على رأس السلم تودع ضيوفها الذين أحيوا ليلتهم بقصرها في رقص وسمر . ورأت المستر « بيتر » يقدم نحوها مسلما فقالت : بيتر ! أرجوك أن ترافق « كونى هاملتون » الى بيتها ، فشارعكما واحد

فعبس بيتر وأحنى رأسه موافقا

وأرسل طرفه ليرى الآنسة فألفاها ذات ملاحة نادرة تغرى المرء على مرافقتها ولو الى آخر الأرض ، فقال يخاطب ربة البيت :

— هل الآنسة هاملتون تقيم في الشارع الذى أنا به ؟

فاجابت : نعم

قال : عجبا ! لقد صرفت به ستا وعشرين سنة دون أن أعلم ذلك ، اعتمدى على ياسوزان فانى سأصحبها الى الى باب بيتها

فقالت مس هاملتون : شكرا لك ، ولكن من السهل أن أعود وحدى

فقال : كلا ، لابد للحسان من خادم أمين يسير في خدمتهن

ثم قال : عمى صباحا ياسوزان ، سنأخذ هذا التاكسى ، قال ذلك وركب السيارة مع الحسناء الصغيرة

واضطجعت مس هاملتون وألقت رأسها على الوسائد التى خلفها ، وأغمضت عينيها كما يفعل المتعب المكدود

على حين راح الشاب يمتع ناظريه بمحاسن إلهة الجمال النائمة بجانبه

وبعد دقائق فتحت مس هاملتون عينيها وأجالتهما فى الطريق وقالت : لقد وصلنا

ثم نظرت الى صاحبها نظرة فاتنة وقالت : لا تؤاخذنى على صمتى وسكونى فانى جد متعبة ، أشكرك يا سيدى

ووقفت السيارة ونزلت الفتاة الحسناء وسارت الى باب أخضر اللون ، وأرسلت يدها الى حقيبتها

وكان الشاب فى السيارة ينتظر دخولها ثم يمضى الى بيته

وفجأة صاحت مس هاملتون : آه

فجرى الشاب نحوها وقال : ماذا حدث ؟

فجرى الشاب نحوها وقال: ماذا حدث؟ أجابت: انسيت مفتاح الباب

أجابت : أنسيت مفتاح الباب داخل البيت ما العمل ؟

قال : أقرعى الباب

قالت : ومن الذى يفتح لى ، وليس بالبيت سوى عمى ؟!

قال : وهل به صمم ؟

أجابت : كلا ، ولكنه عنيد

قال : وهل يبلغ من عناده انه يبقيك خارج الباب في الساعة الخامسة صباحا !

فتنهدت وقالت : بل ويفعل أكثر من ذلك ، استاذنته فى المضى الى الحفلة فأبى فلم أستمع لأمره

قال : ولماذا يحرمك من مسرات بريئة ؟

أجابت : لأنه رجل عتيق الأفكار ، يأخذ بتقاليد

القرن الدابر ، وحين رآنى أهم بالخروج قال : « أنت تعلمين رأيى فى المراقص فان ذهبت فلا تعودى الى البيت» ولا ريب أنها جملة عادية يرسلها الانسان فى ساعة غضبه وسخطه ، ومتى دخلت ورآنى ابتسم واعتذر عن كلماته

فبدا الغضب على وجه بيتر وقال : نحن الآن فى عام ١٩٢٩ لا ١٨٦٠ ! ثم دنا من الباب وجعل يضغط على زر الجرس الكهربائى ، ولكن بلا جدوى فاشتد غضبه وقرع الباب قرعاً عنيفاً متواصلا ، فلم يرد عليه أحد

قالت مس هاملتون : أرأيت عناد الشيخ ؟ !

وأمطرت السماء

فقال الشاب : لنجرب ثانية

وتعالت أصوات القرع

وفجأة قالت مس هاملتون : لنجرب الباب الخلفى

وسارت والشاب فى أثرها ، فدخلا زقاقا ضيقاً ، ثم وقفت أمام سور حديدى وقالت : هذا بابنا الخلفى، ومفتاح الباب من الداخل كما ترى

قال : انتظرى

وتسور السور كما يفعل اللصوص وفتح الباب وقال: ادخلى

فدخلت الحديقة الصغيرة وقالت : لم يبق الا دخول البيت ، لقد أزعجتك يامستر بيتر

قال : كلا ، وهل من المروءة أن أعود الى بيتى وأتركك فى عرض الطريق تحت وابل المطر

ثم خلع معطفه وقال : سأتسلق الحائط الى أن أصل الى هذه النافذة المفتوحة ، ولكن هل هى فى غرفة عمك

أجابت : كلا ، لا تفكر فى هذا الأمر الشاق، وماذا عسى تصنع اذا قابلك عمى ؟

أجاب : ألقى عليه درسا فى آداب القرن العشرين ، سادخل البيت من النافذة ثم أهبط الدرج وأفتح لك الباب الداخلى .

واشتد هطول المطر فقال : اخرجى الى الزقاق وقفى تحت ذلك الطنف فاطاعته وسارت ، ووقف فى مكانه حتى رآها تقف فى مأمن من المطر وبعد ذلك صعد على شباك البدروم ومسك « ماسورة » الماء الممتدة الى سطح البيت ، وأخذ يتسلق عليها

فعل ذلك وهو بلباس السهرة ، وعقب ليلة أحياها فى الرقص والشراب والعربدة

وما ارتفع نحو ثلاثة أمتار حتى زلت قدمه فهوى على الأرض فى بركة من ماء المطر المتجمع

فلم يفل ذلك من عزمه ، ولم يأبه لثيابه التى تمزقت وعاود الكرة ، وأخيراً انتهى الى النافذة بعد ان دميت يداه وركبتاه

ودخل الغرفة ووقف يستريح ويمسح الوحل الذى لطخ وجهه وشعره ثم سار متمهلا وكله آذان مصغية

ورأى رأس السلم فهبط الدرج فى سكون كاللص الحـذر

وما هبط درجتين حتى سمع بابا يفتح بشدة فى الطابق الأرضى ، ووقع أقدام ترتقى مسرعة

فلزم مكانه مذعورا ، وأرسل طرفه الى أسفل فرأى الصاعد رجلا عملاقاً أصلع الرأس حليقا

ووقع نظر العملاق على الشاب فصاح صيحة منكرة كمن أصيب بقذيفة نارية وجمد فى مكانه

فهبط بيتر درجتين ولما صار أمامه وجها لوجه قال: عم صباحا ياسيدى ، أنت ولا ريب « العم استيفن » فغمغم العملاق بكلمات غير واضحة

وعاد بيتر يقول : ان الأمر بسيط جدا ، لا تنظر الى نظرتك الى اللص المفاجىء ، فأنا رجل محترم كلف باصطحاب ابنة أخيك الى بيتها ، وكنا فى الحفلة الراقصة التى أحيتها « مدام تينانى » ، فلما وصلنا الى الباب الكبير تذكرت ابنة أخيك انها نسيت المفتاح ، فطرقنا الباب طرقا عنيفا ، ولما لم نجد فائدة من ذلك تسلقت الحائط ودخلت من نافذة مفتوحة لأهبط الى الطابق الأرضى وأفتح الباب للآنسة التى تقف الآن تحت المطر المنهمر

وكان يتكلم فى تؤدة والعملاق يحملق فى وجهه ، وأخيرا قال :

ولكنك ارتكبت أمرا لا تجيزه القوانين أو العرف، كيف تدخل ياهذا بيتى على تلك الصورة ؟ !

قال : انما المروءة هى التى حملتنى على ركوب ذلك المركب الوعر ، ولو كنت فى مكانى لفعلت مثلى . وبعد فالوقت لا يتسع لهذا الحوار ، ولا سيما أن ابنة أخيك المسكينة تقف الآن تحت سماء عابسة هاطلة

فأطرق العملاق كيف يفكر ثم رفع رأسه وقال : وأين هى ؟

أجاب : فى الزقاق

فلمعت عينا العملاق وقال : اتبعنى

وهبط الدرج والشاب خلفه

ولما انتهيا الى الطابق الأرضى سمع بيتر أصواتا

عالية فنظر الى العم استيفن وقال : حسبتك تقيم هنا بمفردك

فقال العم : نعم ، وهو الواقع

فسائل : وما تلك الأصوات ؟

قال : ان جارنا نجار. ولعله يصنع الآن شيئا

فقال بيتر : وفى مثل هذه الساعة ؟

أجاب : نعم ، والرجل المجد لايتقيد فى عمله بساعات خاصة

قال ذلك ومال قليلا وفتح بابا فى الجهة اليمنى وقال فى لطف : ادخل ودفع الشاب دفعة قوية ألقته على أرض الغرفة، وقبل أن ينهض بيتر لمواجهة خصمه سمع الباب يغلق بشدة ، والمفتاح يدور في القفل

فطاف يبغى مخرجا فوجد القضبان الحديدية المتشابكة تغطى النوافذ فثار ثائره ولعن وهجم على الباب يحطمه بيديه وبرجليه ويصيح

افتح أيها الشرير الأحمق أهذا جزائى ؟!

وحانت منه التفاتة فرأى بابا داخليا فسار نحوه ودفعه فانفتح أمامه ، فاجتازه فرأى نفسه فى البهو بجانب السلم

وقبل أن يتحرك سمع صوتا يقول : لن أدعك تفلت أيها اللص الدنىء

فالتفت نحو المتكلم فرآه شيخا ذا مهابة وبيده مظلة وهو فى لباس النوم فقال : من انت ياسيدى ؟

أجاب : ألا تعرفنى أيها الكلب الحقير ؟

ثم هوى بيد المظلة على رأس الشاب فألقاه على الأرض

أجاب : ألا تعرفنى أيها الكلب الحقير

فنهض بيتر وانه ليهجم على الشيخ اذ يسمع قرعا متداركا على الباب المفضى الى الحديقة وصائحا يقول :

— افتحوا لرجل البوليس

فهرول الشيخ وفتح الباب

فدخل كونستبل وفي أثره مس هاملتون ، فصاح الشيخ : لقد جئت أيها الكونستبل أحوج ما كنت اليك تعال اقبض على هذا المجرم الشقى

قال ذلك وأشار باصبعه نحو بيتر

فصرخت كونى قائلة : ماذا تقول ياعمى ؟ أتدعو المستر بيتر مجرما شقيا ؟!

قال وهو يلحظها بنظرات نارية : وهل الرجل الشريف يتساق الدور فى أخريات الليل ويهاجم أصحابها ثم يسرق متاعهم

فصاح بيتر: سيدى !

قال : أتنكر انك حبستنى وسرقت طرائفى

قال : بل صاحبك العملاق الأصلع هو الذى حبسنى

قال: صاحبى ، انى لم أر سواك في ليلتى المنكرة هذه كيف تعرفت « يا كونى » الى هذا اللص المجرم

أجابت : انه سيد محترم التقيت به في قصر مدام تينانت

قال : انه يابنيتى لص جرىء ضربنى وحبسنى ثم سلب متاعى

فصاح بيتر : انى لم أرك إلا هنا ، فى هذا البهو . وكنت محبوسا في هذه الغرفة

قال : ومن حبسك ؟

أجاب : عملاق أصلع ادعى انه العم ستيفن

فصاح الشيخ . تلفيق اللصوص

وهنا تقدم الكونستبل وبيده قبعة بيتر وقال : أيها السيد ستيفن اذكر قصتك فانى أرى نقطا غامضة فى ذلك الحادث

قال العم ستيفن :

كنت نائما فانتبهت على قرع عنيف فعلمت ان ابنة أخى قد عادت من سهرتها فلم أسرع الى فتح الباب لأؤدب الشقية الصغيرة ، ثم سمعت وقع أقدام تقترب من باب حجرتى وقبل أن أنهض لأرى ما الخبر سمعت المفتاح يدور فى القفل ووجدتنى سجينا

وعالجت الباب حتى فتحته ثم نزلت الى الطابق الأرضى فلم أر بعض أقداح من الفضة فى موضعها ، وفجأة رأيت هذا الرجل فعرفت أنه اللص فعاجلته بضربة من مظلتى وقبل أن يهجم على طرقت الباب ففتحت لكما هذه قصتى

فقال الكونستبل : حسن وأنت أيها الشاب ماذا تقول ؟

فأجاب بيتر بعد أن وصف كيف دخل : قابلت على السلم رجلا مديد القامة مفتول الذراعين فحسبته العم استيفن فذكرت له سبب دخولى فقال: تعال معى لندخل الفتاة ولما وصلنا الى هنا دفعنى الى هذه الحجرة وأغلق الباب دونى ، ووجدت بابا آخر فى الحجرة فدفعته وخرجت فالتقيت بهذا الشيخ

قال الكونستبل أريد أن أرى مكان السرقة

فساروا جميعا الى آخر البهو وهناك خرجت الفتاة قائلة : اقبضوا على اللص

فقال الكونستبل : أين هو ؟

أجابت : تحت هذه المائدة ، أرأيتم قدميه ؟ !

فانحنى الكونستبل وأخرج العملاق الأصلع الذى أفلت وركض نحو الباب الا أن الكونستبل وثب عليه وقبض على عنقه بيد حديدية

وصاحت « كونى » : أرأيت يا عمى صدق قولى حين ذكرت أن المستر بيتر رجل شريف

قال : عفوا يابنيتى ، وكيف أعلم أن بالبيت رجلين

وقال الكونستبل : كان اللص مختفيا حتى يتمكن من فرصة تخرجه الى الشارع ، أين الطرائف أيها الشرير ؟

فأجاب وهو يرتعد : فى ذلك الركن وراء الخزانة

واستاق الكونستبل المجرم أمامه

وهنا تقدم الكونستبل وبيده قبعة بيتر وقال

ووقف العم يشكر بيتر وقالت «كونى» : كل هذه المتاعب سببها عنادك

أجاب: نعم ، أغفرى لى قسوتى أيتها المحبوبة

وتناول بيتر الغذاء على مائدة العم استيفن وجرت الأحاديث الشهية ، والنظرات الفاترة بين الشاب والحسناء وحين هم بالانصراف قال العم :

كيف أكافئك يا عزيزى ؟

أجاب : تزوجنى من ابنة أخيك

فأطرقت المليحة حياء وخجلا

وقال العم :

أتقبلى المستر بيتر زوجا « يا كونى » ؟

فأحنت رأسها البديع ، علامة للقبول

غرفة الاحلام الرهيبة

فتاة ترى هذه الغرفة فى أحلامها مدة طويلة

ثم تنتهى بان تعيش فى هذه الغرفة

فى ليلة ما منذ اثنين وعشرين سنة خلت جاءت فتاة صغيرة الى فراش أمها وهى تذرف العبرات وتنوح بدمع هتون

وكنت أنا تلك الطفلة الصغيرة والى اليوم لا يزال السبب فى بكائى ونحيبى منقوشا على قلبى

كنت قد رأيت حلما أيقظنى فزعة خائفة أنتفض فرقا وأتصبب عرقا فأخذتنى أمى الى أحضانها وجعلت تهدىء من روعى وتسكن هلعى.

وكنت أظن ان الأمر قد انتهى عند هذا الحد

ولكنى لم أستطع ان أنسى هذا الحلم المفزع فقد تكرر حتى أصبح ضربة لازب

وأخذتنى أمى الى كثير من الأطباء والاخصائيين فى علم النفس وحياة الطفل وكنت من الوجهة الجسمية مكتملة النضج وكانت حياتى فى المدرسة والمنزل بسيطة ليس فيها من غريب . وكنت لا أطالع إلا كتب الأطفال ولم أر الصور المتحركة ولا المسارح . ولكنى على الرغم من كل من ذلك مازلت أرى نفس الحلم فى فترات تقرب من ستة أسابيع حتى بلغت العشرين من عمرى ومازلت أعانى رؤية هذا الحلم المفزع وفى كل مرة استيقظ من نومى فزعة مضطربة

وبدأت من هذه السن أراه ضرورة لامفر منها ولا محيد عنها فهو كالعواصف والرياح والشمس والقمر وتدربت على امتلاك عواطفى عند الاستيقاظ وانقطعت عن الالتجاء الى كنف أمى

وفى نفس الوقت بذلت جهدى فى تكتم أمر هذا الحلم واخفائه عن أسرتى . بيد ان أمى كانت فى أكثر الأوقات تدرك هذا السر بالنظر الى وجهى الممتقع صباحا أو قد يكون ذلك راجعا الى سر الأمومة .

فكانت في كل مرة تأخذنى الى أحد الأطباء أو الاخصائيين لفحصى، واننى لأذكر بنوع خاص ساعات قضيتها فى عيادة أحد هؤلاء الاخصائيين وكنت إذذاك أناهز الثالثة عشرة من عمرى

وأبان لى هذا الاخصائى ان الأمر بحاجة الى صراحتى فى القول والتجلد على اجابة أسئلته

وشرع يمطرنى بأسئلة لاعدلها واحدها إثر الآخر دون تريث كوابل المطر

وهكذا أخبرته بكل ما كنت اراه فى هذا الحلم المفزع وما يسبقه ومايعقبه من الأمور .

ما فكرت ليلة رأيت فيها هذا الحلم بشىء خلا الأمور العادية وصديقاتى بالمدرسة ودروس اليوم التالى ثم أغط في نومى فتتراءى لى هذه الرؤيا المفزعة المخوفة

وكنت أجد نفسى فى المنام راقدة متيقظة فى سرير صغير من حديد وفى غرفة لم أرها من قبل ولم تقع عليها أنظارى بتاتا ولكنى أصبحت أعرفها كغرفتى كما أعرف غرفتى الحقيقية . وفى الغرفة سجادة ذات لون أزرق باهت، واطار من الورود الحمراء القرنفلية الكبيرة، وتواليت من طراز قديم تعلوه مرآة بيضية طويلة، وهناك صورة أخرى فى اطار من العاج . والصورة تمثل رجلا لم أره فى حياتى الحقيقية البتة وفي عروة الجاكتة دبوس صغير فى جانب الصورة القريب منى على شكل زورق صغير ومصنوع من الذهب

وفي زاوية من الغرفة حوض مطلى بالميناء تعلوه حنفيتان احداهما للماء البارد والاخرى للماء الساخن . واحداها مشدودة بخيط حولها

وعلقت على الجدار القريب من الفراش صورة امرأة تحمل طفلا صغيرا بين ذراعيها وهى تحدق النظر في حقل فيه رجل قادم نحوها وهو يحمل فوق منكبه

فأسا . وقد كتب تحت الصورة هذه الكلمات « ها هوذا أبي قادم »

وعلى مقعد بالغرفة قريب من الفراش وضعت ملابسي . وهي ثياب طويلة كبيرة لانى أكون فى الحلم فى الخامسة والعشرين من عمرى

وحينما أكون مضطجعة فى فراشى أبدو كانى منتظرة أمراً وأكون فزعة مما أتوقع أن أراه ، وأحس أنه فى غضون لحظات قليلة سيصعد انسان ما السلم ويدخل غرفتى فيهلع قلبى . وعلى حين بغتة أحس وقع أقدام تصعد السلم ثم أسمع الوقع قريباً منى فاتكىء على مرفقى واذا بى أرى « أكرة » الباب تدار ولكنى لا أصرخ اذ لا أكون مستطيعة الصياح بل أكون كأنى قد تجمدت وتصلبت أعضائى من الخوف . ويفتح الباب في تؤدة وبطء ومن ورائه تبدو يد نسائية مغضنة مجعدة جافة كاوراق الشجر اليابس . وتدخل المرأة فتنظر الى بلحاظ تشتعل بنار الضغينة والمقت والغل فأحس أنها مقبلة على الاضرار بى . وتقترب هى من الفراش ثم ... أستيقظ ويالها من يقظة مخوفة !

وأضطجع فى فراشى الحقيقى وأنا أتصبب عرقا وأنتفض رعباً كما كنت فى منامى راقدة منتفضة تماماً . وأبقى لحظة لا أدرك ان كنت لا أنفك أحلم أم أنا آمنة مطمئنة في دارى وغرفتى

ومكثت ردحاً من الزمن أنطلق الى فراش أمى عقب اليقظة وأنا أنتفض وأبكى من الخوف ، ولكنى لا أفعل ذلك اليوم فقد كان لذلك أثر سيىء على أمى فرثيت لحالها واجتهدت أن أتمالك نفسى فأخلد الى فراشى

والآن لا أخبر أمى بهذا الحلم حين أراه ولكنها لا تنفك تدرك كل شىء

وأقيم مرقص لخريجى الكلية التى كنت فيها ودعى اليها كل من تخرج في هذه الكلية . وذهبت الى هذا المرقص بطبيعة الحال وكنت مرتدية ثوبا جديدا جميلا وكنت صغيرة ممشوقة القد وكان ذلك في شهر يونيو وكذلك كان بداية رقصى الحقيقى فى الحفلات والمراقص ووفد الى هذا المرقص كثير من الفتيان والفتيات .

وفي الساعة العاشرة قدمت الى واحد من هؤلاء الفتيان وكان اسمه وولتر ايفانز ميلر ولكن كل أصدقائه كانوا يدعونه باسم وولت . وكان ألمانيا ولكنه وفد الى أمريكا وهو طفل رضيع ، ومن عجب ان ألفيت أننى كن يعرفه من قبل . فهل كنت قد رأيته في مكان ما ؟

ورقصنا معا وكنا نكاد نتساوى في الطول واندمجنا بين الراقصين ولامست وجنته شعرى فتحركنا فى المرقص لا على عزف الموسيقى ولكن على وقع موسيقى قلوبنا .

وسألنى وولت هل هناك مايحول دون الذهاب معى الى الدار بعد انتهاء الرقص؟ فقلت: ليس ثمت مانع

وخرجنا الى الحديقة بين دورات الرقص وانطلقنا نسير بين أزاهيرها ورياحينها ثم وقفنا تحت عريشة تسلقت عليها الورود وأحسست أن دمائى تفور وأن قلبي يخفق خفقانا سريعا ولكنه لذيذ ممتع

وجذبنى وولت الى صدره وطوقنى بذراعيه وارتفعت يداى بدافع لاأدرى كنهه لأطوق عنقه ، ولكنى صرخت فجأة من الألم والفزع معا فقد وخزت ذراعى العارية بسن شارة . ذلك الدبوس ! !

أين رأيته من قبل ؟

لقد كان على شكل زورق صغير مصنوع من الذهب

فقال وولت وهو فزع من امتقاع وجهى وارتمائى بين ذراعيه

— ماذا ؟ هل أصبت حقا بضر ؟

فقلت كاذبة وقد خجلت في أعماق نفسى من هذا الخور وذلك الجبن

— كلا . ولكنى أفزع من رؤية الدماء .

فضحك وأخرج منديلا ربط به موضع الجرح ثم أحاطنى بذراعيه وهمس في أذنى قائلا :

— ان القبلات أنجع دواء للجروح

وطبع على فمى قبلة حارة لذيذة كانت هى أول قبلة طبعها رجل على فمى

وزاد القلب خفقانا وسرت الدماء في عروقى ملتهبة ولما عدت الى دارى وخلعت ملابسى واضطجعت في فراشى عادت ذاكرتى الى الزورق الذهبي الذى رأيته

فى صدر وولت وكنت قد علمت منه أنه شعار النادى الذى هو عضو فيه

ومع ذلك . أهذا هو كل شىء ؟

لقد رأيت هذا الزورق الذهبى من قبل . وكان مألوفا عندى بجواهرى وحليى .

وفضلا عن ذلك فقد تبينت فى ملامح وولت ملامح الصورة الموضوعة فى غرفة الأحلام .

ومرت الأيام وأصبحت أنا ووولت عاشقين محبين ، فكان يركبنى سيارته مرة كل يومين ، ونخرج فى نزهة فنقضى وقتا سعيدا نسبح فى غضونه فى هناءة واستمتاع

وتكتمت جهدى فلم أنبىء وولت بسر هذا الحلم المفزع ولكنى أرغمته على خلع هذا الشعار من صدره وتركه فى منزله مدعية انى أمقته لأنه أذانى .

وكنت أعبد وولت وكان يعبدنى لكن على الطريقة الألمانية أى فى صمت لكن فى ثبات الكواكب ورسوخ الجبال

وكدنا نعلن خطوبتنا على الملأ ونعجل بالزواج لكن والده مات فجأة ونكبت أمه من أثر الفادحة بمرض عصبى منهك للقوى . فكانت هذه أول سحابة ظللت سعادتنا وأحلامنا اللذيذة

وانقضى وقت لم أكن أرى وولت فيه الا قليلا ولم أكن قد رأيت والده ولا رأيت أمه بعد . ولما شفيت أمه بعض الشفاء لم يستطع وولت أن يأتى الى كثيرا كما كان يود وأخبرنى أن أمه تفزع لتغيبه كثيرا وانه من أجل ذلك مرغم على البقاء معها أكثر وقته .

وطلب الى أن أبقى أمرنا سرا بعض الحين وأدركت أنا مبلغ فزع أمه حين تتصور أنها ستفقده إذا تزوج فكنت أرثى لحالها وكان هو يبتهج بهذا الحديث منى .

وفى مساء ليلة كنا جلوسا أمام الموقد فى دارى نتبادل أحاديث الهوى الممتعة اللذيذة ونظرت اليه فجأة وقلت :

— وولتر انك راحل الى مدينة بافالو للانضمام الى أخيك . أليس كذلك ؟

— اننى فاعل ذلك ولا ريب يا نورا . اريد ان ابذل كل ما املك من جهد فى عملى

— ما رأيك فى رحيلى كذلك الى هذه المدينة مدة هذا الشتاء لدراسة الموسيقى

فأضاء وجهه بنور الفرح والغبطة وصاح قائلا

— أوه نورا ! أحقا ذلك ؟ ومتى ؟ وأين تسكنين

وارتفعت يداى بدافع لا أدرى كنهه لأطوق عنقه ولكنى صرخت فجأة من الألم والفزع معاً .. هذا الدبوس !!

هنـاك ؟

ـ لقد الحفت في القول مع امى حتى تعبت وملت من قول «لا» فرضيت أخيرا وسأدرس البيانو بادىء الأمر فى معهد الموسيقى وأتخذ لى مسكنا على مقربة منه، وهناك كما تعلم مساكن خاصة للطلبة .

فقال يرثى لحالى

ـ مسكينة يانورا سوف تناضلين كثيرا

وعاودنى الحلم مرارا ولكن انهماكى في اعداد معدات الرحيل جعلنى لاألقى بالى اليه . وكانت أمى فى هـذه الآونة لاتشير الى هذا الحلم ولـكنى كنت على يقين أنه مستقر في إحدى زوايا ذهنها .

وكان وولتر قد استقر مع أمه فى منزل بمدينة بافالو وأتى الى أمه بممرضـة . وتوالت عـلى رسائله بانتظام وكان فى كل رسالة يذكر لى أنه لايستطيع الصبر على طول غيابى .

وما أكثر طيش الشباب وما أشد نزق الحب القدٰ كنت أغنى وأنا أحزم أمتعتى بينما كانت أمى تبكى بدمع هتون فطوقتها بدراعى وجعلت أدور بها فى أنحاء الغرفة راقصة .

وتركت الدار كأنى لائذة بالفرار منها . ألم اكن ذاهبة الى وولتر ؟

وقالت لى امى وهى تتشبث بى عند الرحيل

ـ احذرى أيتها العزيزة وأيقظى للأمور عينك .

فقلت لها وقد أحزننى خوفها واضطرابها

ـ والآن ياأماه . لاتضطربى ولا تحزنى من شىء فسوف اذهب توا الى المنزل الذى أشار المعهد على به وساكتب اليك على الفور .

وكانت رحلة ممتعة لعينى التى لم تقع على مثل هـذه المناظر فقد كنت أرمق المحطة الضخمة بنظرات الخوف ولما وصلت الى فناء المحطة ركبت سيارة أقلتنى الى منزلى فى وقت قصير

وصلت الى الدار وقابلتنى ربة الدار وكانت امرأة جافة المنظر فقادتنى الى غرفتى

وكان أول شىء وقعت عليه أنظارى حين فتحت باب الغرفة طاقة من القرنفل والورود الحمراء وعرف قلبى لأول وهلة من الذى بعث الى بهذه التحية الرقيقة

وبعد ذلك أدرت عينى فى أنحاء الغرفة فالفيتها قليلة الأثاث فلم يكن هناك إلا سرير من حديد وتواليت من طراز قديم تعلوه مرآة بيضية الشكل وسجادة زرقاء اللون ذات اطار من ورود حمراء كبيرة

ماذا ؟ . . ماذا ؟ أيمكن أن تكون . . . أيمكن أن تكون هى ؟

ورفعت عينى الى مافوق الفراش فاذا بى أرى صورة امرأة تحمل طفلا تنظر الى رجل قادم من الحقل .

هذه الغرفة هى بعينها غرفة أحلامى

فوقفت فى وسط الغرفة وقد أحسست بالخور من هول الصدمة

فهل أهرب من هذه الغرفة وألوذ من هولها بالفرار؟

لقد كان هذا هو ماتوحيه الى كل مشاعرى الضعيفة الخائرة . ولـكن لا فان فى هذا فرارمن مواجهة مشا كلى المؤلمة ولا بد لى أن أجد حلا لهذه المشاكل فلأمكث مهما كان من هول القضاء المخبوء لى فى طيات الغيب . ولأقف أمامه وجها لوجه ولن أتقهقر .

ان القلم يسطر، وما سطر قد سطر ، وانتهى الأمر . ووضعت حقيبتى

وجاءت الى ربة الدار لتحيينى فا لفيتنى ممتقعة اللون وسألتنى فى رفق وعطف ان كنت أريد بعض الشاى

وسألتها بدورى ان كنت أستطيع أن أستخدم التليفون فقالت

ـ بلا ريب فانه تحت تصرف كل من كان فى الدار

فعدت الى التليفون وطلبت منزل وولتر .

وسمعت صوتا خافتا ضعيفا من الناحية الأخرى يقول

ـ هالو . هالو .

ـ هل المستر وولتر ميلر يقطن فى هذه الدار ؟

ـ نعم . ماذا ؟

وكان السؤال في صوت جاف أجش ليس فيه شىء من الرقة فكدت أن أقذف بالسماعة ولـكنى عدت فقلت قد تكون هذه خادمة وقحة فقلت

ـ انى أريد أن أتكلم اليه من فضلك . انى نورا جراهام

ـ هل أنت . . حقا ؟ انى والدة وولتر وانى لمتأسفة أن أخبرك أنه مشغول الآن .

وكان في صوتها نبرة مؤلمة وكدت أعلق السماعة وفى قلبى تصطخب الآلام، ثم اذابى أسمع فى وضوح حركة فى الناحية الأخرى وصوتاً يقول في همس

ـ أوه يا أماه كلا لاتفعلى

ثم سمعت عن طريق أسلاك التليفون أحب الأصوات الى قلبى وهو يقول

ـ هل أنت يانورا ؟

ـ نعم ولقد وصلت الآن توا

ـ لم أستطع أن أقابلك أيتها العزيزة ولكنى سأتمكن عاجلا من رؤيتك . مارأيك فى ليلة الغد ؟

ـ أوه وولتر !! انى لا أكاد أستطيع الصبر . انى..

ـ آسف يانورا . ان والدتى تطلب الى القيام ببعض أعمال فى هذه الليلة . وانك لتعرفين كيف يجب أن تعامل الأمهات وخاصة أمى

وعلى كل حال فلديك رقم تليفون مكتبى فخاطبينى غدا . والى اللقاء الآن

فصعدت السلم ودخلت غرفتى « المسكونة »

أهذه نهاية آمالى بعد انقضاء عام فى رفقة وولتر ؟

وتهالكت على الفراش وبكيت بكاء مرا

وأقبلت المس سينل ـ ربة الدار ـ بالشاى وكانت رقيقة القلب فى الواقع فبدا عليها التوجع لآلامى

ولم تغف عينى طويلا فى هـذه الليلة ولم تطف بى الأحلام كذلك وقد يكون ذلك لأنى أعيش الآن فى أحلامى

وفى صباح اليوم التالى توجهت الى المعهد وانهمكت فيه حتى الظهر وخابرت وولتر فى التليفون وكان منتظرا فاذا بى أجده فى هذه اللحظة وولتر العاشق الملهوف .

وقال لى وهو يستهل حديثه

ـ أيتها العزيزة انى أرجو أن تصفحى عن أمى فانها قد تبدلت كل مبدل حتى أصبحت أنكرها ولقد اشتريت سيارة اليوم وانى لطائر بها اليك وسأكون عندك بعد عشرة دقائق .

وكانت هذه بداية الحياة فى هذه المدينة . ووالينا الذهاب الى السينما والمعارض والمتاحف والمسارح والتنزه فى الحقول والأماكن الخلوية إما ركوبا وإما سيرا على الأقدام . ولـكن وولتر لم يدعنى يوما الى زيارته فى داره ولم يقترح على أن أقابل والدته .

وبعد انقضاء شهر تسلمت ذات صباح كلمة منذرة مكتوبة بحبر أسود وحروف سقيمة وليس فيها غير هذه الكلمات

« دعى وولتر ميلر وشأنه »

وقد ظننت بادىء الأمر أن وولتر قد عمد الى هذه الدعابة فلم أفه بلفظ ولكنه لم يشر اليها ولم يبد على ملامح وجهه مايدل على أنه هو كاتبها .

وأخيراً اعتقدت أن شخصاً آخر هو الذى بعث بها الى . وخطرت لى أمه فقد أعلم علم اليقين أنها تمقت العلاقة الوثيقة التى تراها بينى وبين ابنها ولكنى لم أستطع أن أصدق أن امرأة مثلها تقدم على مثل هـذه الأعمال المزرية .

وتسلمت رسالة أخرى غفلا من التوقيع هذا نصها:

« انى أنذرك فدعى وولتر وشأنه »

فقررت على الفور أن أحادث وولتر فى شأن هـذه الرسائل فقلت له حين قابلته أتلمس طرق الموضوع

ــ وولتر . لماذا تمقتنى أمك كل هذا المقت ؟

ــ ولماذا تمقتك يانورا ؟

ــ حسنا ولكنها تمقتنى فعلا

ــ نورا . انى أكره التحدث الى انسان فى هـذا الشأن ولـكنى في الواقع خائف فزع على أمى . فقد تبدلت وأصبحت عجيبة في أمورها ولقد كانت قبل وفاة والدى مثال الدعة والابتهاج ولكنها بعد موته ...لست أدرى ماذا أظن . انها قد بلغت السن التى تصبح فيه النساء موضع العجب . ولا يضيرنى أن أنبئك بمثل هذه الأنباء ولكنى أكاد أحسب أنها قلما تنجو . فماذا أفعل في مثل هذه الحال ؟ انى لا أستطيع التخلى عنها فان فى

ذلك سفالة لن أستطيع اقترافها. مسكينة أمى! ومن المحتمل أن تقضى بقية أيامها على مثل هذه الحالة السيئة.

واذن فهذا هو الدافع لها على كتابة مثل هذه الانذارات وارسالها الى؟ إذن فلا حاجة بى الى تحميل وولتر هما جديداً، وأردف وولتر الحديث قائلا

— وانها ستعمل أعمالا سخيفة عجيبة فهى تسرق السكر مع تحريم الأطباء لها أن تتناوله. وهناك أمر عجيب له علاقة بى. فانها دائما تنتظر عودتى حين أكون فى الخارج وهى دائما تبتكر أشياء عدة لتكرهنى على البقاء فى الدار فتدعى الصداع وألم الظهر وغير ذلك من مختلف الأمراض لتدفعنى على البقاء. واذا ما خرجت من الدار ذرفت الدموع بين أيدى الممرضة.

— يالك من مسكين بائس!

— فدعها تخلد الى ما يريحها يا نورا. فانها غير ما كانت فلقد كانت وفاة أبى صدمة عنيفة لها بل انها قضت عليها تماما فقد كانا يتبادلان حبا مكينا. وسأكون على مثاله حين أتزوج.

ولقد أحسست الألم واللوعة من أجله فى تلك الليلة وطالما صارحته بحبى العظيم له واعجابى به لطيبته وعطفه على أمه

ولكن الرسائل ما انفكت تتوالى بعضها مهين والآخر منذر وكلها تدعونى الى التخلى عن وولتر وتركه وشأنه ولكنى وقد تحققت سوء حال أمه فقد عمدت الى تمزيقها ونسيان أمرها.

وتقدمت فى دروسى الموسيقية ومرت على ثلاثة أشهر لم تطف بى تلك الأحلام المزعجة وكان وولتر معى فكنت سعيدة هنيئة العيش ناعمة البال - بل كنت سعيدة الى الحد الأقصى.

وفى ليلة ما كنت على موعد مع وولتر للذهاب الى المسرح لمشاهدة رواية كريسلر. فشرعت أرتدى ملابسى واذا بجرس التليفون يدق فأمسكت بالسماعة فكان محدثى هو وولتر

— أيتها العزيزة قد ابطىء فى المجىء اليك قليلا لأن حالة والدتى سيئة فى هذه الليلة فاستقلى سيارة واذهبى الى المسرح وانتظرى فى الفناء. وقد اشتريت التذاكر وهى معى

وكان صوت وولتر مضطربا فرثيت له من صميم قلبى وقلت له

— حسنا أيها الحبيب

وأتممت ارتداء ثيابى واستدعيت سيارة ركبتها. وبعد ساعتين عدت الى الدار لأن وولتر لم يحضر من الموعد فلما مضى كل هذا الوقت الطويل دون أن يأتى هبط قلبى وسئمت الانتظار فعدت ادراجى

ومكثت حتى الساعة الحادية عشرة وأنا أتوقع أن يخاطبنى وولتر تليفونيا ولكنى يئست أخيرا فخلعت ملابسى وارتديت ثياب النوم وزحفت زحفا الى فراشى وقلبى مفعم ألما وغما

ولقد كان من المستحيل أن أنام، ولهذا تركت المصباح منيرا واضطجعت على الفراش وبيدى كتاب ولكنه سرعان ما سقط من يدى دون أن أطالع فيه حرفا فقد شردت أفكارى وحامت حول وولتر واخلافه الموعد

ودقت الساعة اثنتى عشرة وأنا مضطجعة على ظهرى أحدق النظر فى هذه الغرفة المظلمة

وفجأة سمعت الباب الخارجى يفتح فى هدوء. وكنت أعرف وقع أقدام المس سينل القوية فأيقنت انها ليست هى الداخلة وظللت راقدة ومن عجب اننى فى هذه اللحظة تماما تذكرت حلمى المفزع واذ ذاك أنيرت بصيرتى وأيقنت أن الساعة الرهيبة قد أتت

وكنت فى تلك اللحظة منتظرة كما انتظرت فى أحلامى الرهيبة وكنت راقدة أسبح فى عرقى البارد المتصبب من الخوف والفزع وكنت أتوقع أنه سرعان ما أسمع وقع الأقدام على السلم وأرى « أكرة » الباب تدار ثم يفتح كما كنت أرى ذلك فى أحلامى تماما واذ ذاك .. .. أجارنى الله!!

وسمعت الباب الخارجى يقفل فى رفق وبعد فترة سمعت وقع أقدام خفيفة على السلم. فقمت واتكأت على مرفقى وبلغ منى الفزع مبلغا عظيما حتى أحسست أننى كالدمية لا أستطيع نطقا أو حراكا.

ولكنى كنت منتظرة .. ومنتظرة
ولقد خلت أن عصورا مضت قبل أن أرى «أكرة» الباب تدار والباب يفتح في تؤدة وبرزت من فتحة الباب يد .. امرأة أحلامى
ودخلت المرأة
وكانت عيناها زائغة كعين المعتوه المخبول وهى تدور فى انحاء الغرفة . وتقدمت فى بطء وقد وقعت انظارها على وكان الشرر يتطاير منهما — شرر التهديد والوعيد وجف حلقى من الفزع وسمرت فى مكانى من الرعب
وفي بطء وتؤدة كانت تتقدم الى ناحيتى . ووقعت على يدها فاذا بى اراها تحمل مسدسا من طراز عتيق وقد سددت فوهته الى

وفجأة حدث أمر آخر فقد سمعت الباب الخارجي وقد فتح في عنف وشدة وترك مفتوحا ثم سمعت اقداما تصعد على السلم مندفعة وإذا بصوت وولتر يصيح
— أمى الا تقدمى على ذلك .
ثم سقطت مغشيا على ولا أدرى ماذا حدث بعد ذلك !!

***

وقد أصبحت أنا وولتر فى هذه اللحظة زوجين سعيدين وشفيت أمه . تماما من مرضها وبرئت من ضعفها العصبى وهى الآن تحل محل أمى التى ذهبت ضحية الحوادث التى اسلفت ذكرها

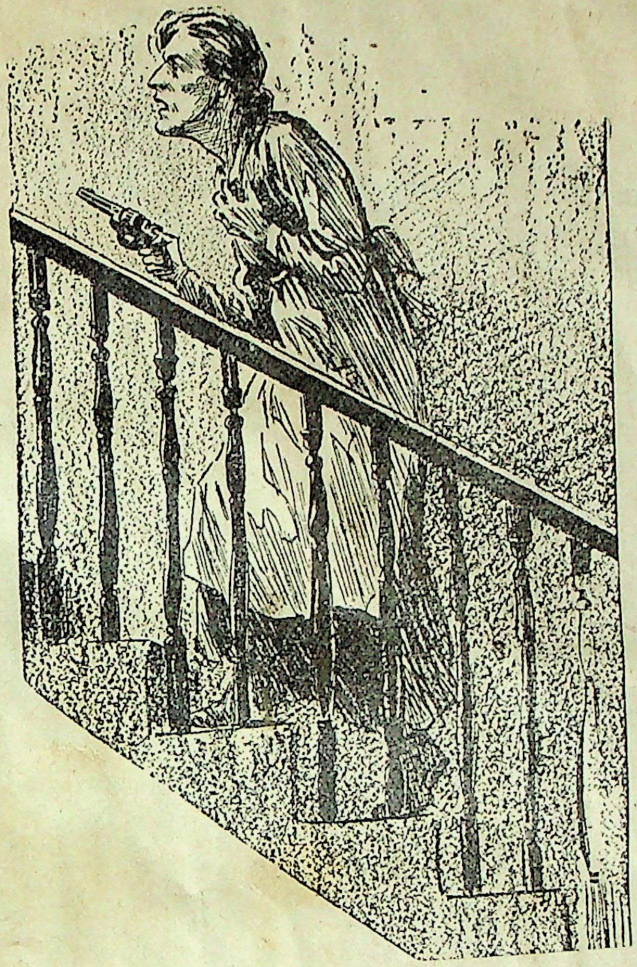

وبعد فترة سمعت وقع أقدام خفيفة على السلم

جواب على جواب

قال معاوية لجارية بن قدامة ما كان أهونك على أهلك اذ سموك جارية قال ما كان أهونك على أهلك اذ سموك معاوية وهى الأنثى من الكلاب قال لا أم لك قال أمى ولدتنى للسيوف التى لقيناك بها فى أيدينا قال انك لتهددنى قال انك لم تفتتحنا قسرا ولم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان فزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حدادا قال له معاوية لا أكثر الله في الناس أمثالك قال جارية قل معروفا وداعنا فان شر الدعاء المحتطب

الحبيب الخيالى

يحزنها أن تحرم من الحب

فتخترع لنفسها حبيبا خياليا ــ وما يلبث الخيال ان يصير حقيقة

كنت صغيرة . . وكان ذلك يوم اعلان الهدنة فبينا كنت أسير في الشوارع سمعت باعة الجرائد ينادون بأعلى أصواتهم على مايحملونه ، ولم أعن بالسؤال عما يدفعهم الى ذلك الصياح وسرت فى طريقى الى محل عملى وهناك استقبلتنى احدى زميلاتى وهى فتاة تدعى لوسيل وفاجأتنى قائلة :

ـ مايزى .. هل سمعت الأخبار ؟؟

فأجبتها بفتور :

ـ أى أخبار ؟ !

فقالت لى :

ـ فكرى فيمن سيعود الى الوطن ؟

وأمسكت بمقعد حتى لاأسقط على الارض وقلت :

ـ أظن ... ولكن ... ليس هو .

فقالت لى :

ـ بل انه هو .. ليستر ، صديقك ، اقرئى الخبر الآتى :

« ان الفرقة الرابعة عشرة قد عادت الى الوطن (أمريكا) من أوربا وستقوم باستعراض كبير وتعقد لها الحفلات »

ثم أمسكت لوسيل بكتفى وأخذت تهزنى وهى تقول :

ـ ربك أيتها الفتاة لاتجمدى على هذه الحال ، يخيل الى انه سيغمى عليك . ألا تسمعين أن الفرقة الرابعة عشرة عائدة الى الوطن ومعها ليستر !! ليستر !!

ـ دعينى اقرأ الخبر ..

وقالت لوسيل وهى تناولنى الجريدة .

ـ انك أسعدنا حظا يامايزى ، فمن كان يظن انك ستكونين أول واحدة من بيننا يعود اليها حبيبها من الحرب .

وأردفت زميلة لها تدعى جلاديز :

ـ يجب أن تقتصدى في النقود يامايزى حتى تشترى له بعض الهدايا الصغيرة ، يقولون ان هؤلاء الرجال الذين يعودون من الحرب يحبون الزواج ، فاذا لم تكونى فى حاجة اليه فأنا مستعدة أن أحل محلك ولك أن تقدميه الى ...

وقلت بعد أن قرأت الخبر :

ـ آه .. انى سعيدة جدا بذلك يالوسيل !

ـ ولكن لم أكن أظن أنك ستظهرين سرورك بهذا السكون مع اهتمامك الشديد به وبأخباره حين كان غائبا عنك فى فرنسا ..

فردت رئيسة المكتب قائلة :

ـ ان فرط سرورها جعلها عاجزة عن اظهار سعادتها فلا تلوموها على ذلك ..

وجلسنا جميعا للعمل ، وأعدت أنا قراءة الخبر ، وقرأت خبر الاستعدادات التى تقام لاستقبال العائدين

وحاولت أن أستمر فى عملى غير انى أكثرت من الاخطاء أثناء الكتابة وكنت أعيد نقل ماكتب حتى لحظت الرئيسة ذلك وجاءت الى تخبرنى انها تصرح لى بالتغيب عن العمل بقية اليوم وقالت لى :

ـ انى أقدر حالتك الفكرية حق قدرها يا ابنتى واعرف سبب عدم اجادتك للعمل وانى مسرورة لسعادتك وفرحك ...

وبكت المسكينة لأنها كانت فقدت خطيبها أثناء الحرب .

***

وعند ماخرجت لم يهمنى أن أرى صفاء الجو أو جمال الطبيعة بل قررت أن أسير الى احد المتنزهات العامة لأفكر في مجرى الأمور

وعندما جلست فى الحديقة غبطت الأطفال الصغار على فرحهم وسرورهم إذ ليس لديهم معضلات يشتغلون بحلها . . .

كنت فى مركز حرج جدا اذ ربيت منذ الصغر تربية قاسية وكانت والدتى تذكر لى دائما : « ان الفتاة العاقلة يجب أن تظهر دائما في مظهر السيدات الكبيرات السن فكنت أطيع أوامرها على الرغم من جمالى وظرفى . وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت صديقة الأولاد والأطفال والزميلات ، أما الشبان فما كنت لأستثير اهتمامهم نظرا لعدم استعدادى للسير فى طريقهم كما تصنع كل فتاة أخرى .

مات والدى وانتقلنا أنا ووالدتى وشقيقتى الى مدينة كبيرة ومع أنى كنت أبلغ الثمانية عشرة من سنى اذ ذاك فلم يكن لى صديق أو حبيب اهتم بأمره ويبادلنى عطفى وحبى ، وكم قاسيت اذ ذاك من هذه الوحدة المؤلمة وخاصة اذ كنت أرى فتيات أقل منى جمالا ولهن من يهتم بهن ويعجب بهن ويراسلهن !

وفى عام ١٩١٧ كنت الفتاة الوحيدة بالولايات المتحدة التى ليس لها صديق من بين الجنود الذين هم فى الخارج ... كنت أبجل هؤلاء الجنود البسلاء واحترم شجاعتهن ، وكنت أحسد الفتيات المحتشدات لوداع هؤلاء الجنود عند سفرهم ...

كنت وحدى لا أشترك فى حفلات الاستعراض ولا في مقامرات الغرام ... وكنت مستعدة لان أبذل أغلى شىء في سبيل عثورى على شخص من أبناء أمريكا يمكننى أن أراسله وأهتم بأمره وأرسل اليه الهدايا وأحبه وأعانقه حين وداعه لسفره الى أوربا ليشترك فى الحرب ، جندى من هؤلاء كان كفيلا باشباع رغبتى وابقاء ذكراى خالدة الى الموت ..

وحين بدأت تصل الفرق الامريكية الى فرنسا شعرت بزيادة وحدتى ، فقد كانت كل الفتيات صديقاتى يتحدثن عن أصدقائهن الغائبين بفرنسا ويبرزن خطاباتهن بفخر وكن يكتبن اليهم ويرسلن اليهم بالهدايا المختلفة .

وعولت أن أعثر على صديق بأى طريق كان وفكرت أن أخرج الى القطارات ، غير أن تربيتى وصلابة أخلاقى منعتنى من ذلك وأخذت أخفى حالتى على الجميع ، وأنا أحلم فى ذلك الحبيب وآمل أن يتحقق الحلم فى يوم من الأيام ويصير حقيقة

ولما كانت زميلاتى في العمل غارقات فى شئونهن الغرامية في مبدأ الامر لم يهتممن بأمرى أو تفكر احداهن فى ، إلا انهن مالبثن أن لاحظن سكوتى وأخذن يحاولن اغاظتى بالطرق كافة وهن يتهمننى بأننى كتومة لسرى وان لكل فتاة « حبيباً واحداً على الاقل » حبيب موجود بفرنسا يهتم بى وأحبه ! وحدث أن عثرت فى الطريق على شارة عسكرية تخيل الى أن السماء قد أرسلتها الى فعلقتها على صدرى وأثارت لدى زميلاتى اهتماما كبيراً . وما لبثت صديقتى لوسيل أن أسرعت الى تقول :

ـ في أى فرقة يوجد صديقك ؟

فاجأنى هذا السؤال ، فترددت لحظة قصيرة واحمر وجهى خجلا ثم قلت بصوت ضعيف :

ـ فى الفرقة الرابعة عشرة !

وكنت أكذب طبعا إذ ليس لى أى صديق حتى أعرف الى أى فرقة ينتمى . وما لبثت صديقتى أن سألتنى

ـ هل هذه هى الحقيقة ؟ لابد أنه في مقدمة المقاتلين الآن . ألم تقرئى في الصحف أن الفرقة الرابعة قد أمرت بأن تتقدم صفوف الجيوش المحاربة ؟ ؟

لم أقرأ شيئا عن ذلك بالطبع ، الا أننى منذ تلك الليلة أخذت أقرأ كل كلمة تكتب فى الصحف عن أخبار القتال فى فرنسا فاذا كان لى حبيب فى مقدمة الجيش المحارب كان يجب أن أعرف كل أخباره واخبار البقعة التى يقاتل فيها .

وهكذا أصبح بطلى الخيالى يظهر كل يوم في مظهر حقيقى يفوق مظهره في اليوم السابق ، بل انه قد أعطى اسما فى يوم من الأيام ! فقد كانت زميلاتى يعبثن وهن يحاولن كشف المستقبل بواسطة الأسماء ، وفاجأتنى صديقتى لوسيل مرة أخرى وقلمها في يدها فرفعت الى عينيها السوداوين وقالت لى :

ـ ما اسم صديقك يا مارى ؟

فنظرت اليها باستغراب .

فقالت توضح سؤالها .

ـ صديقك الموجود بالجيش فى فرنسا ؟

اشتد استغرابى وكاد يلحق بى اليأس وما لبثت أن نظرت الى الأسفل فوقع نظرى على جريدة فنطقت بأول اسم وقع عليه نظرى وقلت لها :

ـ ايستر !

ومنذ ذلك الوقت أصبح ليستر شخصا آدميا له لحمه ودمه ليس فقط بالنسبة الى زميلاتى فى المكتب الذى

أشتغل به بل بالنسبة الى أنا أيضا ، وكأنني كنت واثقة أنه كان يفكر فىّ وهو فى الصفوف الأمامية بالجيوش الامريكية المحاربة فى الميدان الفرنسى وكأنه يحسب الوقت الباقى لكى يعود الىّ ! وامتلأت فرحا منذ ذلك الوقت ، ذلك الفرح الذى يلازم الحب ويأتى معه دائما فكنت أتحدث عن « خطيبى » الخيالى ، بل وقد اقتصدت شيئا من أجرى واشتريت خاتما من الماس بالتقسيط ولبسته فى أصبعى بفخر وأخبرت زميلاتى أن صديقى ليستر هو الذى أرسل الى هذا الخاتم بعد وصوله الى فرنسا

كنت كلما أطنبت فى الحديث عن ليستر زادت أكاذيبى عنه وكأننى أنا بنفسى كنت أصدق بعض ما أقول عنه . كنت سعيدة فى نفسى ، وكأن هذه الأكاذيب كانت مخدرا لطيفا لعواطفى أو حلما جميلا لا أود أن ينتهى . وهكذا ظللت على حياتى فى عالم الأوهام ، وهو جنة المجانين ، دون أن أفكر فى عاقبة هذه الأكاذيب أو فى اليوم الآتى الذى لابد أن تظهر فيه شخصيتى الخادعة على حقيقتها .

وهاهو ذا اليوم قد أتى فى النهاية . . . وكان يجب أن أبرز حبيبى أمام من صدقوا أكاذيبى . ولم يكن لى حبيب فأبرزه ! !

***

جلست فى الحديقة أفكر فى هذه المسألة الدقيقة إلى أن حل المساء فعدت الى المنزل وقد أثقل قلبى الحزن . . . وبينا أنا فى الطريق الى المنزل إذ خطرت لى فكرة . . . وجدت بواسطتها مخرجا من هذه الورطة . . . . آه لو تمكنت فقط من أن أستجمع شجاعتى وأخرج هذه الفكرة الى عالم الوجود .

اقترب ميعاد وصول الفرقة الرابعة عشرة من الجيش وأقيمت الاستعدادات لاستقبالها استقبالا فخما ، على أنه لم يسمح لأقاربهم وأصدقائهم برؤيتهم إلا فى الحديقة التى ستقام فيها حفلات استقبالهم الرسمية . ووقفت مع صديقاتى بين الجموع المحتشدة فى الطرق لنرى هؤلاء العائدين الأعزاء . وبينما كنا ننتظر إذ قالت صديقتى لوسيل محتجة :

— ياللعار ! انهم لايسمحون لنا بدخول المحطة لاستقبال هؤلاء الجنود الأبطال . . وخصوصا لاستقبال ليستر خطيبك العزيز . ولكن على كل حال لا أظن أننا لن نتمكن من رؤيته من هذا المكان فقفى ياماىزى على مسافة بعيدة قدر الامكان وعند رؤيته لوحى له بعلمك الصغير وناديه بأعلى صوتك . . .

وفى تلك اللحظة بدأت الموسيقى فى العزف منبئة بقدومهم ، وبدأ رجال البوليس يعيدون المتفرجين الى مكانهم الأول على الأفاريز ومن ثم ظهرت طلائع الجنود وبدأ الجمهور يحييهم ويهتف لهم هتافا عاليا . وكنت صامتة وقد بردت أطرافى وأخذت أطيل النظر الى وجه كل جندى يمر أمامى وقد غاض صوتى فى حنجرتى . . .

لم يبق على بقية الفرقة غير عدد قليل فأخذت أراقبهم بقلب واجف مضطرب اشتدت ضرباته . أخذت أحدق فى الجنود حتى كدت أفقد توازنى ولكنى لمحت فى ذلك الوقت عينين عاطفتين ينظر الى بهما جندى طويل فى آخر الصفوف التى كانت مقبلة نحوى . شعرت بشجاعة غريبة تنبعث فى نفسى ، ولذا فقد ابتسمت لهذا الجندى ، وعندما صار بحذائى اقتربت منه بين الجموع ولوحت له بالعلم الصغير وابتسمت له دون أن يلحقنى أى خجل وصحت به :

— أهلا بك ياليستر ! !

دقيقة رهيبة لا أنساها مدى حياتى ظننت فى أثنائها انى فشلت . وقد فوجىء الجندى وظهر عليه الاستغراب لحظة قصيرة وقد رأيت زملاءه فى الصفوف ينظرون باستغراب الى وجهى الملتهب . ولكن مالبث الاستغراب أن غادر وجه الجندى ورفع يده يرد على تحيتى وابتسم لى بوجه أحمر وصاح بى :

— أهلا . . . فتاتى العزيزة ! !

سمعت بعض أصوات الجنود تصيح بعد مرورهم مخاطبة الجندى الذى ناديته باسم « ليستر » دون أن أعرفه أو أراه من قبل

— من هذه يا استيفنسون ؟؟

وكذلك سمعت بعض همسات بين الفتيات المجتمعات فى الطريق الى جانبى . ومالبث أن مر الجنود كلهم وخلا الطريق من أمامنا . . . وقالت لوسيل وهى تسحبنى فى الطريق بين الجمع الى مكان الاحتفال :

— اننى أريد أن أقابل رجلك ياماىزى ! لاريب انه رجل خجول إذ قد ظهر عليه الاستغراب حين وقع نظره عليك للمرة الأولى . . . ولكنه كان كبير الحجم جميل الشكل . . ألست سعيدة الآن بعودته . . . ؟ !

وذهبنا الى الحديقة العامة حيث كانت تقام حفلة الاستقبال الرسمية على أنه لم يصرح بالدخول هناك الا لأقارب جنود الفرقة وأصدقائهم ولذا لم تتمكن صديقاتى من الدخول ، وتقدمت أنا وحدى بعد أن قالت لى صديقتى لوسيل :

— لاتهملينا يامايزى ... ويجب أن تقابلينا عند مايصرح للجميع بالدخول بعد ساعة من الزمن ، فاننا نود أن نقابل صديقك الجندى الطويل ...؟!

وقفت أمام باب الحديقة وقد بلغت حيرتى الى أقصى درجاتها فكيف كان يتسنى لى أن استجمع شجاعتى وأتقدم الى الموظف المسئول أسأله أن يسمح لى بالدخول لمقابلة جندى صديقى لم تنتجه غير مخيلتى الخاصـة !! أخذت أفكر في الامر ثم تقدمت الى رجل البوليس الواقف على الباب وأوضحت له أن التصريح الذى كنت أحمله بالدخول الى الحديقة لمقابلة أحد أصدقائى من الجنود العائدين قد فقد منى وأريته الخاتم الذى ألبسه اثباتا لما أقول ...

نظر الى الرجل بامعان ثم لاحظ الاسى المرتسم على وجهى فصرح لى بالدخول ...

وما دخلت الى الحديقة حتى صعدت الى البناء الموجود بها ووقفت فى شرفته وأخذت أطل على جموع الجنود وهم يسيرون في الحديقة يتحدثون الى أقاربهم وأصدقائهم .

لبثت ساعة فى موقفي وكانت الانظار تتغاضى عنى فى كثير من الاوقات حتى كدت أيأس وأغادر الشرفة والبناء والحديقة ... بل المدينة كلها في تلك اللحظة التى زاد يأسى فيها ، نظرت الى الحديقة فارتعدت وأمسكت بحاجز الشرفة بقوة اذ رأيت ثلاثة جنود يمرون وكان آخرهم جندى طويل القامـة تظهر عليه سيماء الخجل والاضطراب وكان هو بعينه ! هو بنفسه الجندى الذى ناديته دون أن أعرفه من قبل حين مرور الصفوف أمامى في الطريق ...

ورأيته قد انفصل عن الجند بين الآخرين ووقف يفكر ، فغادرت الشرفة في الحال ونزلت السلم وأسرعت اليه بالحديقة ، واقتربت منه وقلت له بصوت مضطرب :

— عفواً ... عفواً ...

واشتد استغرابه ثم نظر وزاد خجله ، ولم كان جميلا وهو معتدل القامة عريض الكتفين رمادى العينين ، وقفت ذاهلة أمامه لاأدرى ما أقول وأحاول اخراج الكلمات فلا أتمكن من ذلك وأخيرا قلت :

— أظنك المستر استيفنسون؟

فمد يده وهو يقول :

— نعم اسمى استيفنسون ويخيل الى اننا قد تقابلنا من قبل .

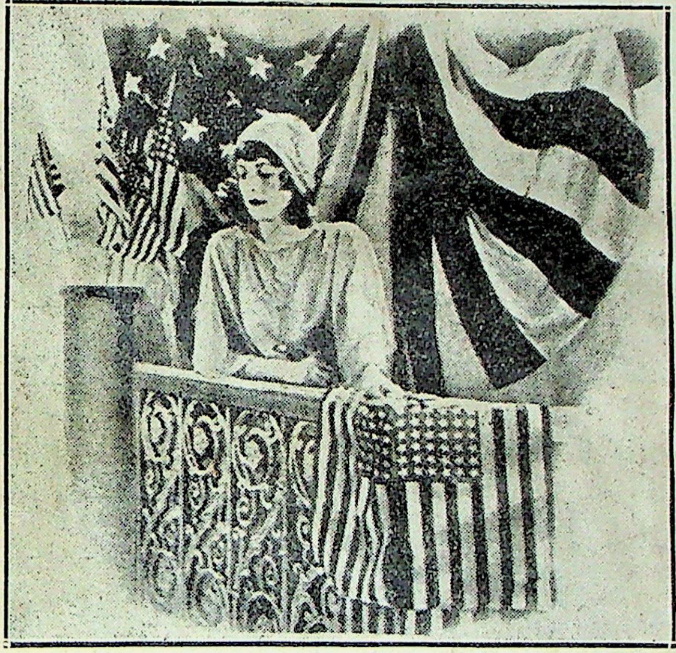

فى تلك اللحظة التى زاد فيها يأسى نظرت الى الحـديقة وارتعدت وأمسكت الحاجز بقوة ، فقد رأيته !

فقلت له وأنا أسحب يدى من يده

— ان اسمى مايزى اندروز !

ثم نظرت اليه بيأس وظننت أن ليس هناك ما أقوله أكثر من ذلك !

وسكت وسكت ! ثم لاحظت على مقربة منا جنديين يشيران الى واليه فزاد رعبى والتفت الى استيفنسون وقلت له بسرعة :

— اننى أسألك أن تؤدى لى معروفا عظيما ، لاأعرف ماذا تظن فى؟ ولكن العار سيلحقنى الى الابد اذا لم تساعدنى وقد أضطر الى مغادرة عملى ، بل الى مغادرة المدينة كلها ولذا أرجوك أن تساعدنى هذه الليلة فقط ... لن أرغمك بعد الآن مدى الحياة ... فهل لك أن تدعى أمام صديقاتى ان اسمك ليستر وانك خطيبى ؟؟

وضع الجندى يده على ياقته وكأن شدة الاستغراب قد منعته من الكلام . وانتهزت فرصة تأخر زميليه اللذين كانا يشيران الينا لمقابلة صديق وأردفت مسرعة في كلامى :

— قد تظن أنى فتاة سيئة ، ولكنى كنت وحيدة طول حياتى بينما كانت كل صديقاتى يتحدثن عن أحبائهن الغائبين فى فرنسا .. حتى اضطررت فى النهاية الى الادعاء أن لى أنا الأخرى حبيبا غائبا فى فرنسا وان اسمه ليستر، وقد أخذت صديقاتى بالمكتب الذى اشتغل فيه يسألننى عنك — أقصد ليستر — فأخبرتهن انك بالفرقة الرابعة عشرة . ولذا فقد صممن على رؤيتك عند ما سمعن بقرب وصول الفرقة الرابعة عشرة ، أى أنهن صممن على رؤية ليستر ولم أعرف ما أصنع عقب ذلك ؟ وهذا

— اننى أعرف انى أسالك معروفا عظيما ولكنى على استعداد لأن أدفع لك كل ماتطلب اذا تعهدت بمساعدتى !

وعند مارأى الجندى حافظة النقود اشتد تأثره ونظر فى عينى الحزينتين وقال :

— سأكون « ليستر » ولكن ... بدون أجر !..

وفى تلك اللحظة كان زميلاه قد تقدما منا فقال لى هو بسرعة :

— اننى سأخبر هذين الزميلين ان اسمى الأوسط هو

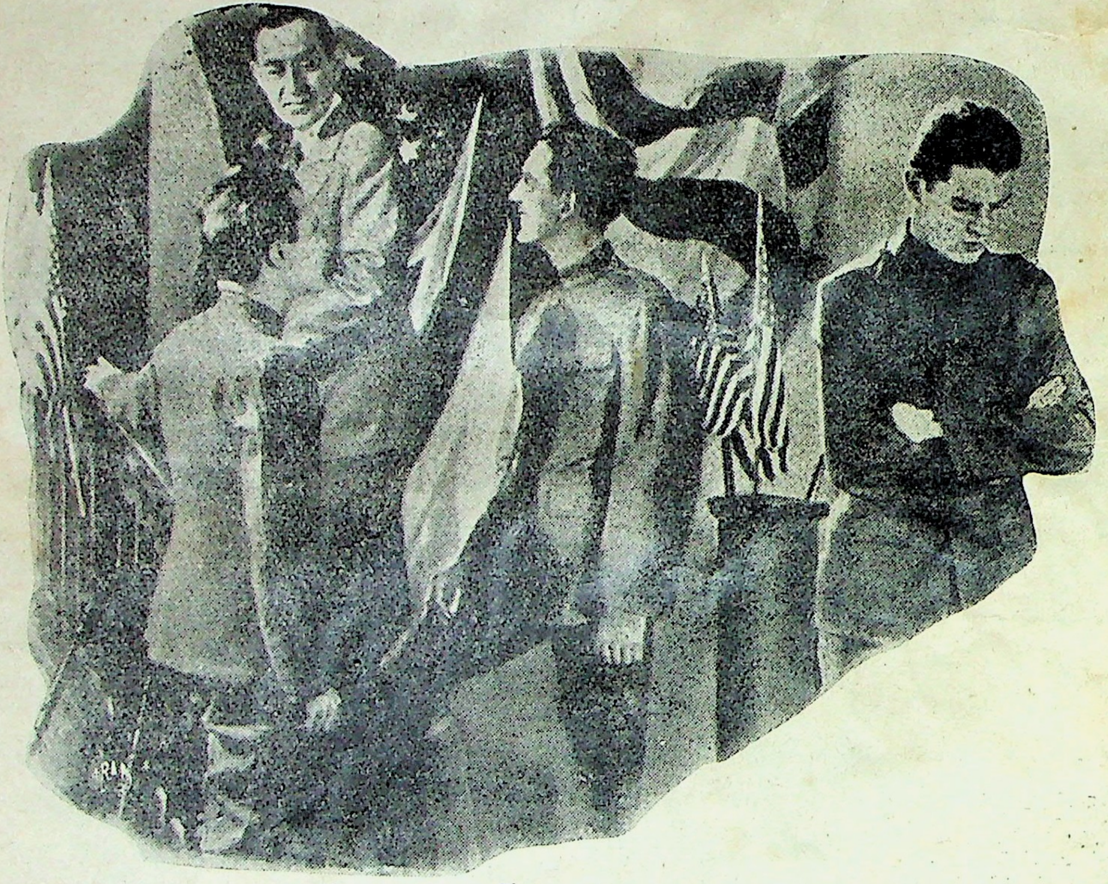

ورأيته قد انفصل عن الجنديين الآخرين ووقف يفكر ...

هو السبب في أنى أشرت اليك اليوم حين مرورك في الصفوف وقد كان كل همى أن أبحث عن واحد يقبل أن يدعى أنه صديقى ليستر !!

وما وصلت الى نهاية هذه الجملة حتى كاد صوتى يكف عن الكلام . ونظرت اليه فاذا به لا يزال يفحصنى باستغراب شديد . وهناك خطرت لى فكرة فأخرجت حافظة نقودى وقلت له :

ليستر حقيقة وان هذا هو مادفعك الى مناداتى بهذا الاسم اليوم ، تقولين أن اسمك مارى ، أليس كذلك ؟ اذا فليكن لمسمك دلفين أمامهما ... فتاتى دلفين التى كنت أراسلها وهما يعرفان عنها الشىء الكثير ...

تقدم الجنديان اذ ذاك وهما يضحكان فقدمهما الى ليستر أو استيفنسون ، وقال له أحدهما ساخرا :

— كيف حالك يا « ليستر » ؟

فرد عليه استيفنسون قائلا :

ـ ان ليستر صحيح، اذ أنه الأسم الذى تناديني به دائما خطيبتي دلفين . . .

ضحك الجميع وقال لى أحد الجنديين .

ـ ان خطيبك هـذا ياسيدتى كان يحاول أن يمنعنا من رؤيتك ولكنى عند ما رأيتك تلوحين له بالعلم قلت فى نفسى : « انها دلفين بلا شك اذ ليست هناك أى فتاة أخرى تجرؤ على أن تلوح لاستيفنسون ! » فانه خجول جدا كثير الحياء . . .

وقال الجندى الآخر مقاطعا زميله :

ـ لاريب أن ساعى البريد سيستريح ياسيدتى اذ كثر ما كان استيفنسون يكتب لك من خطابات ! ولم يكن أحدنا يعلم أن له فتاة يحبها بل كنا نظن أنه انما كان يكتب لأمه . .

وابتسمت أنا وكان من الصعب جدا أن استمر على القيام بدور حبيبة شخص من الأشخاص ؟ الا أن الموسيقى عزفت فانقذتنى من حيرتى اذ انسحب صديقا استيفنسون، فقد كانت تنبىء بابتداء حفلة الرقص . واختليت أنا بالجندى فى ذلك الوقت فقال لى :

ـ انى آسف لعدم تمكنى من دعوتك للرقص ولكن الحقيقة انى لا أعرف شيئا من أصوله

شعرت بالسعادة اذ ذاك وقلت له معترفة :

ـ اننى لم اتعلم الرقص أنا أيضا اذ قد منعتنى والدتى من ذلك . . . وهكذا عشت فريدة وحيدة !

ظهر الاهتمام على وجهه حين سمع ذلك وقال :

ـ حقا ؟؟ لقد عشت انا كذلك الى أن قابلت دلفين!

وهنا سألته بسرعة :

ـ هل تظن أنها تغضب اذا رأتنى معك ؟ لم اكن أعرف شيئا عن علاقتك بها وإلا لما كنت اخترتك من بين الجنود الآخرين . . .

فقال :

ـ لا أظن أنها تغضب أو تهتم لذلك لأنها طيبة القلب، ولكن ارجو أن تخبرينى : لماذا اخترتنى انا بالذات من بين بقية الجنود ؟ ؟

فقلت له :

ـ « لا أعرف السبب الحقيقى ولكن بلا ريب مظهرك الذى يدل على الخجل والطيبة هو مادفعنى الى اختيارك . . .

ثم لاحظت إذ ذاك صديقاتى وهن قادمات نحونا بعد أن فتح باب الحديقة أمام الجمهور فقلت له بسرعة

ـ « ها هى ذى صديقتى لوسيل وجلاديز قادمتين ولهما رغبة شديدة في مقابلتك . . . »

وقبل أن أتم جملتى قاطعتنى صديقتى لوسيل وهى تقول لى :

ـ كنت أعلم انك ستنفردين بصديقك الجندى الطويل القامة يامايزى وانك ستنسين صديقاتك !

وقدمته الى الصديقتين ، واخذت لوسيل تنظر اليه باعجاب . أما استيفنسون فقد حياهما مرحبا مسرورا وقال لهما :

ـ اننى مسرور برؤيتكما ،فكثيرا ما كتبت لى دلفين أقصد مايزى إذ أن دلفين هو الاسم الذى أناديها به ، تحدثنى عنكما فى خطاباتها حتى قرأت عنكما كثيرا . . .

فقالت جلاديز :

ـ حقا ؟ لم أكن أعرف أن مايزى تذكرنا فى خطاباتها وأنت تدعوها دلفين .. ياله من اسم جميل ! لماذا لم تخبرينا به من قبل يامايزى ؟؟

وقبل أن أجيب اجتمع حولنا بضع فتيات أخريات من زميلاتى فى عملى . وقد واجه الجندى استيفنسون هؤلاء الفتيات المجتمعات حوله وامارات السرور على وجوههن بشجاعة وهدوء غريب وكان يرد على أسئلتهن بلطف، ولم يمكن أن أقدم اليه مساعدة تذكر، وكان رد فعل المجهود الهائل الذى بذلته قد بدأ يظهر على فشعرت بالاعياء ووقفت الى جانبه صامتة شاحبة الوجه ضعيفة.

لابد انى كنت أشعر بالسعادة فقد قمت بالدور خير قيام ونجحت فيه نجاحا لم أكن أنتظره . كان هذا الجندى الغريب سيغادر المدينة بعد بضع ساعات الى مسقط رأسه وتنتهى المسألة عند هـذا الحد وأعود الى عملى بضمير مطمئن وأنسى كل ماحدث .. ولكننى شعرت بالحزن الشديد: ها نذا أنقذت نفسى من المضايقة والخجل والعار، ولكننى على الرغم من ذلك شعرت بالفشل والحزن !

نظرت الى استيفنسون ولاحظته وهو يجيب على أسئلة زميلاتى الفتيات ببساطة تامة فأدركت إذ ذاك مقدار ظرفه وأدبه الجم ، وأدركت انى أجبرته على الرغم من تربيته العالية أن يكذب . ومع ذلك فهو يعاملنى بكل لطف ويشير الى بكل أدب دون أن يحاول استغلال ظرفى للضحك منى أو التعريض بى

ظهرت لى الحقيقة الآن وتجلى لى انى كنت فتاة حقيرة جبانة .. كل هؤلاء الجنود البواسل الذين أراهم

الآن قد واجهوا الموت ، أما أنا فقد جبنت عن أن أواجه عاقبة كذبة واحدة كذبتها ! وقفت أسمع المحادثة بين استيفنسون وزميلاتي الفتيات ثم قررت في نفسي شيئا ...

وحين غادرتني صديقاتي وتركنني وحدي مع الجندي تقدم هو مني وحاول أن يجلسني على مقعد قريب وهو يقول لي بلطف :

لاريب انك تشعرين بالتعب !

ولكني حركت رأسي لأنفي مايقول وقلت :

وحاول استيفنسون أن يوقفني عند حدي ويمنعني عن الكلام فقلت له :

ـ ليس الذنب ذنبك . فقد كنت أنا كاذبة وجبانة في أمر واحد وأنا آسفة على كل ما حدث وأود أن أخبرك تفاصيله

وبينما كنا نسير في ذلك الممر ذهاباً وإياباً أخذت أقص عليه ببساطة تامة كل ماتخلل حياتي من آلام وآمال وأحلام وعما صادفته من فشل ويأس في شبابي . وكانت كنت أشعر بعطف صديقي على دون أن يتكلم ... وظللت

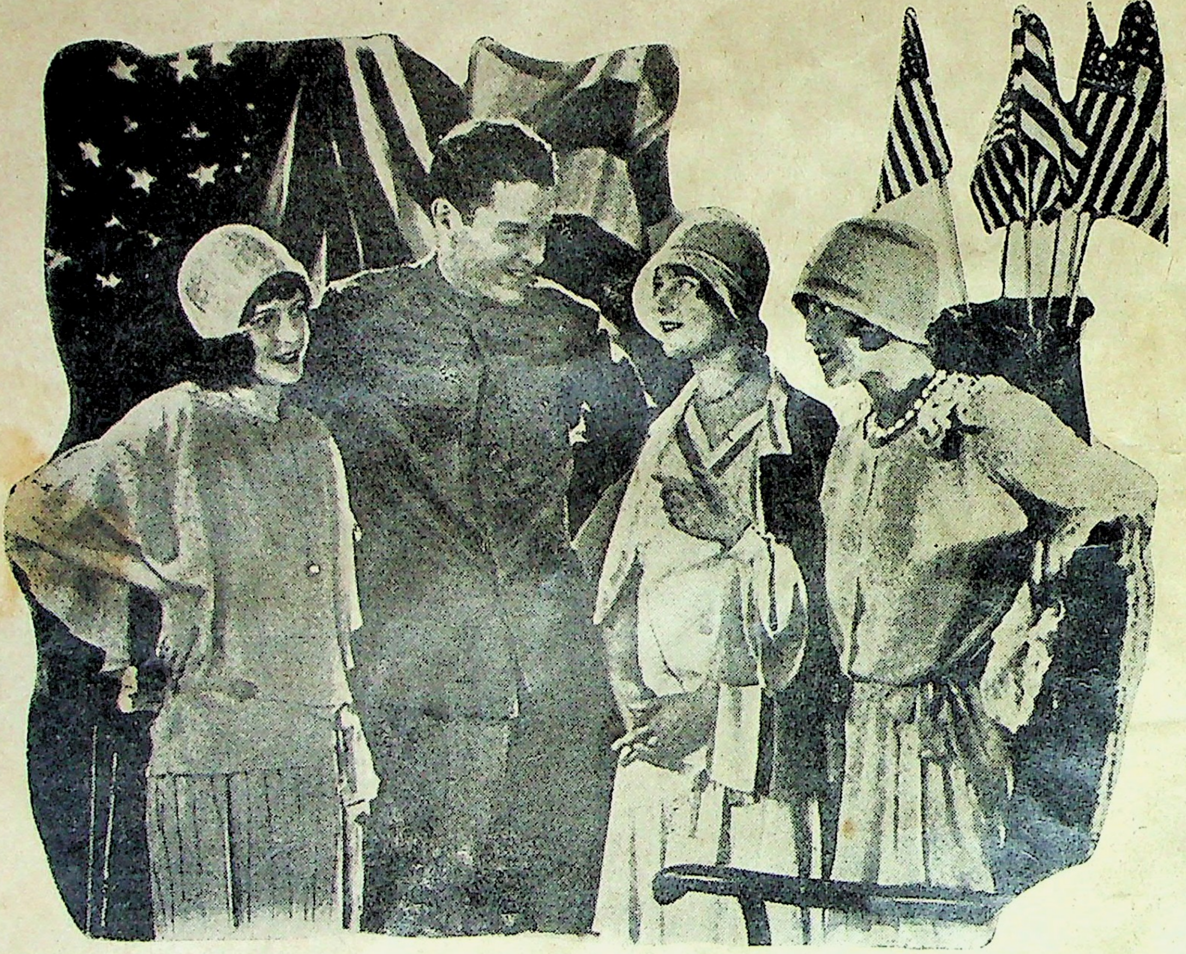

وقبل أن أتم جملتي وصلت صديقتي لوسيل وجلاديز ، فقدمته اليهما

ـ لا ! لا يمكنني أن أجلس هنا فهل لك أن تخرج معي من هذا المكان لأني أود أن أحدثك عن أشياء كثيرة ؟

وقادني الى الممر الخارجي وكان الهواء البارد يهب فيه بشدة وقد وقف عنده الحراس ، وقلت له إذ وصلنا الى هناك :

ـ لا أعرف ماذا تظن في ولكني على كل حال لا ألوم إلا نفسي وقد كذبت كثيرا ! فدعني أخبرك الحقيقة المجردة

أتحدث اليه حتى شعرت أخيرا بأنه يضع ذراعه في ذراعي وأخذ يقترب مني رويدا ، بينما كنا نسير ببطء وقد خيل الي اننا حبيبان مثل باقي الأحياء الذين كانوا يسيرون على مقربة منا . وحين علبني التأثر حتى كدت لا أقوى على الكلام شعرت بأنه يقبض على يدي بقوة وقد غادره كل خجله ، وشعرت بأني أقص أحزاني على صديق قديم يشاركني شعوري .

وحين انتهيت من سرد قصتى أخبرته بما صممت عليه:

— حين أرى كل هؤلاء الجنود البواسل الذين اجتمعوا الليلة في هذا المكان يدركنى الخجل على الجبن الذى لحقنى من أجل شىء حقير جدا. وغدا سأقص الحقيقة بتمامها على صديقاتى في المكتب الذى أشتغل به وسأخبرهم انه لم يكن هناك شخص يدعى « ليستر » واننى قد عبثت معك واتفقت معك على أن تشاركنى فى خداعى ومن ثم لن ألبس هذا الخاتم فى يدى وسأكون على استعداد لهجران العالم .. ولكنى إزاء ذلك لن أنسى كم كنت لطيفا معى وأتمنى لك كل سعادة ، أنت وحبيبتك « دلفين » الحقيقية !

وكنا اذ ذاك قد وصلنا الى نهاية الممر المظلم ، وهناك سحب استيفنسون يده من يدى وأخرج من جيبه سلسلة ذهبية وضعها فى يدى وقال لى آمرا :

— ضمى هذه السلسلة الى جواهرك !

ثم أمسك بيدى ونظر الى بعطف شديد وقال :

— مايزى ! فتاتى العزيزة ! ليست هناك فتاة تدعى دلفين .. لم تكن هناك دلفين الا فى أحلامى وخيالى !

ظهر الاستغراب على وجهى اذ ذاك وحاولت أن أسحب يدى من يده الا أنه شدد فى القبض عليهما واستمر فى أقواله :

— « تقولين انك وحيدة فى هذا العالم ... أما أنا فمنذ الثانية عشرة وأنا أخجل وأخاف الفتيات ، حتى اللاتى كن يظهرن لى الصداقة منهن .. ولكن ذلك ليس معناه انى كنت أشعر بتعس الوحدة وأنا في الصفوف الأمامية من الجيوش المحاربة حيث كنت أسمع كل زملائى الجنود يتحدثون عن صديقاتهم البعيدات فى الوطن . لم أتمكن من احتمال الوحدة أكثر من ذلك ولذا فقد اخترعت لنفسى حبيبة صغيرة انتخبها خيالى وأسميتها دلفين وحين أخذت أجازة قصيرة أسرعت بشراء هذه السلسلة وأدعيت أمام أصدقائى بأن دلفين قد أرسلتها الى !!

« كانت هذه السلسلة طلسما احتفظ به دائما وأثناء وحدتى كنت أكتب خطابات لحبيبتى الخيالية دلفين أحدثها فيها عن كل شىء . وكنت أحرق هذه الخطابات بمجرد الانتهاء من كتابتها ، ولم تمر على ليلة ذهبت فيها للنوم دون أن أحلم بفتاتى ، وكان تذكرها يشجعنى فى كثير من الاوقات على الوقوف فى الخنادق الممتلئة بالماء وحين كنا نستعد للرجوع الى الوطن أخذ زملائى يتحدثون عن فتياتهم وقرب رؤيتهم فادعيت أمامهم انى سأرى دلفين . ولم أخبر أحدهم طول هذه المدة عن مكانها ولكنهم أخذوا يلحون على بالسؤال عنها حتى كدت أيأس وأخبرهم انها قد ماتت أو انها هجرتنى وتزوجت من رجل غيرى لولا أن رأيت وجهك اليوم يتطلع الى .. وهذا هو مادفعنى الى أن ألوح لك بسرعة وكدت أظن انك دلفين حقا . . . ومن الغريب جدا انك كثيرة الشبه بمن كنت أتخيلها دائما وأكثر من التفكير فيها . .

وهنا سكت ونظر الى بحب وعطف ثم عاد الى الكلام مرة أخرى بعاطفة رقيقة فقال :

« مايزى . . . عزيزتى .. حين سمعتك الليلة تتحدثين الى ورأيتك واقفة كما كنت أرى دلفين في أحلامى دائما ظننت انى قد أصبت بمس فى عقلى من جراء ما قاسيته فى تلك الحرب الماضية ، وهذا هو ما جعلنى أفكر قليلا قبل أن أقبل القيام بما طلبت منى ولكنى لما عدت الى صوابى وجدت في مشروعك طريقا حسنا لناكلينا ، يمكن به كل واحد منا أن يخرج من المأزق الذى وقع فيه أمام أصدقائه وزملائه . . . »

وفي تلك اللحظة رن صوت النفير يدعو الجنود الى الاجتماع لتنظيم صفوفهم والسير الى المحطة للسفر ، فسألنى استيفنسون بسرعة :

— هل لك أن تلحقى بى الى المحطة ؟ فسأتمكن من الاجتماع بك بضع دقائق قبل سفر القطار . . .

فوعدته قائلة :

— سأكون هناك :

فرفع يدى الى شفتيه وقبلهما وهو يقول :

— يجب أن تحضرى الى المحطة لانى أود أن أذكر لك شيئا آخر . . .

***

وأسرع هو الى حيث اجتمع أفراد فرقته ، وما لبثت أنا أيضا أن التقيت بصديقتى لوسيل وجلاديز وعرفت أنهما تنويان الذهاب الى المحطة مثلى لتوديع بعض الجنود الذين تعرفوا بهما منذ وقت قصير فقط .

وأسرعنا نحن الثلاثة الى المحطة حيث وجدنا بها آلاف الأشخاص من أصدقاء وأقارب الجنود . وقد حضروا جميعا لوداع الجنود وداعا مؤقتا اذ لابد أن يستغرق تسريح الفرقة مدة أسبوعين على الأقل ، ولن يسمح للجنود بمقابلة عائلاتهم وأصدقائهم قبل انقضاء هذه المدة . كانت الامهات والشقيقات والحبيبات قد

اجتمعن حول الجنود وعانقنهم عناقا شـديدا وظهر الحزن على وجوههن كما كان حالهن يوم سفر الجنود للحرب فى فرنسا تماما .

ولم أكد أصل الى المحطة حتى وجدت صديقى الجندى استيفنسون ينتظرنى، ولم يكد يرانى حتى جذبنى من بين لوسيل وجلاديز ، وقال لى بسرعة :

— إن ماكنت أود أن أقوله لك يامابزى هو أنه لا يجوز لك أن تخبرى زميلاتك وصديقاتك اللاتى يشتغلن معك فى المكتب أن «ليستر» لم يكن غير شخص خيالى . اذ هذا ليس حقيقيا كما تعرفين ، لأنه هو ودلفين على قيد الحياة على الرغم من أنهما يعيشان تحت اسمين آخرين ... ألس ذلك حقيقيا ؟

نظرت اليه بخجل وسكت . وفى اللحظة التالية رفعتنى عن الأرض ذراعان وضمتانى الى صدر جندى بقوة ولقد كان عناقا ملؤه الحب والعاطفة والشوق ! كان عناقا أبلغ أثرا من أى عناق آخر حلمت به فى يوم من الأيام ..

وهمس صديقى فى أذنى وهو يرجعنى على قدمى إلى الارض :

— مابزى ... حبيبتى ... لن يحلم أحدنا بالحب بعد الآن أليس كذلك ؟ !

ابتسمت له وهو يجذبنى اليه مرة ثانية وتقابلت شفاهنا فى قبل طالما حلمنا بها فى الماضى ... ولكنها كانت فى هذه المرة قبلة بعيدة عن عالم الأحلام ... كانت قبلة حقيقية !!

عاد استيفنسون بعد أسبوعين، وعندما قرر أن يسافر الى مسقط رأسه فى مقاطعة بعيدة اصطحبته فى سفرته هذه لأنى كنت أصبحت اذ ذاك زوجته!

مضت على زواجنا مدة طويله ، واننا لنشعر بالاستغراب لأن كل واحد منا لا يزال يرى فى الآخر مثله الأعلى الذى كان يحلم به . وأننا لنؤكد أن قوة سرية غريبة هى التى جمعت شملنا على ما كان بيننا من هوة سحيقة ...

أما ابنتنا الصغيرة فقد اسميناها « دلفين » وأما ابننا فقد اسميناه « ليستر » !!

تظل وفية لزوجها بعد مماته ثم تموت على قبره

كان فى بنى عامر بن صعصعة امرأة توفى عنها زوجها ، ولها ابناعم . فصارا الى بعض شيوخهم فقالا له : فلانة جارية شابة ، والقالة الى مثلها سريعة ، فوجه اليها . فلتحضر وأعرض عليها أينا أهوى اليها حتى يتزوجها ؟ فوجه الشيخ اليها فأتته . فعرض عليها مقالتهما . فاطرقت مليا تنكت الأرض حتى حفرت فيها حفيرة وملأتها من دموعها ، وكان زوجها دفن بمقبرة تدعى بحوضى . فالتفتت الى ابنى عمها وأنشأت تقول :

فان تسألانى عن هواى فانه — رهين بحوضى أيها الفتيان
وأن تسألانى عن هواى فانه — رهين له بالحب يا رجلان
وانى لأستحييه والموت دوننا — كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابك اجلالا وان كنت فى الثرى — لوجهك يوما ان يسوءك مكانى

وقامت فانصرفت فقال : قد رأيتما وسمعتما ، فانصرفا وقد يئسا ، ثم لقياها يوما فى المقابر وعليها مصبغات وحلى وحلل فقال أحدهما لصاحبه : ماترى فى أى زى خرجت ؟ والله ما أراها الا متعرضة للرجال ، هلم فلننظر ما تصنع ، فقربا منها فأتت القبر فالتزمته ثم أنشأت تقول :

ياصاحب القبر يا من كان يؤنسنى — وكان يحسن فى الدنيا مؤاتاتى
أزور قبرك فى حلى وفى حلل — كأننى لست من أهل المصيبات
أتيت ماكنت من قربى تحب وما — قد كان يلهيك فى ألوان لذاتى
ومن يرانى يرى عبرى مفجعة — طويلة الحزن فى زوار أموات

ثم شهقت فماتت

قصـــة وقصـــة

صور مصرية ذات ألوان قاتمة من الحياة

صالح افندى طالب بالجامعة المصرية ، محب للهو ممراح ، فنان بارع فى الموسيقى ، ممثل يجيد الالقاء ، بائس محزون اذا صادف امرأة . بولع يتلهب فى درس الأدب على صوتها فى الغزل . . كان يستمع إلى الأستاذ فى حب ابن أبى ربيعة وشعره فتفتحت عيناه وانفجرت شرايينه . بعد أيام كانت فتاة ناعمة هيفاء تمهد فراشه . وغنت له بصوت حلو رفيع . فعانقها إلى جانب النافذة وغاب عن الجامعة أياما

صالح افندى والده عمدة من سراة الصعيد أحضره إلى القاهرة ليتم دراسته العالية واكترى له بيتا صغيرا يقوم على خدمته فيه غلام مستضعف ، شديد الغباء ، يبيت ليله بالعراء فى نظير قرش لا أكثر أو حذاء قديم يوهب له عندما يدعو صالح افندى نخبة أحبته إلى مائدة أخوية ويسمعهم شيئا من عزفه على القيثارة أو العود . وتكون مائدة شهية لاينقصها إلا الوجه الحسن . وتكون ألحانه شجية لايعوزها إلا الصوت الحنون

وأوزعه بعض أصدقائه إلى فتاة منقطعة ترضى عشرته بأقل ثمن . وكانت سعاد تلك الفتاة أليمة الجمال تعبة من الحياة ، يتيمة منذ أعوام ، تعيش وأخت لها عيشة لايعلمها إلا الله . وربما كان صمتها وعزلتها وشدة حيائها داعيا إلى تحدث الناس عنها بحقد . لكن صالح قد أثبت لها نفسه عندما اشتعلت النار فى أختها وخاطر بنفسه لانقاذها حتى وثقت به وغدت تتردد على بيته لترد إليه جميله فى خدمات بريئة .

وليلة داناها وطلب يدها وطلب إلى أبيه أن يفى بوعده فى تزويجه فقد حصل على البكالوريا من أول عام ورد والده الباشا مهددا ، وردت عليه أن تملكه نفسها . . . وتزوجها سرا . وفى الجامعة لقى أصحابه فرحا مستبشرا وهنأناه يومئذ مشفقين عليه أو ساخرين، غير أنه كان يبكى أحيانا . ربما من سعادته . وربما على سعادته .

بعد عام طويل ، بعد أن أدى امتحانه فائزا . كان يودع زوجته الهشة المستسلمة بقبلة ودمعة . ثم غادر لديها قلبه وفى أحشائها جنين

وتحملت الفتاة الوديعة حياة أليمة من أجل كلماته الحلوة ووضعت حملها غلاما أسمته « سعدا » . وجن صالح اشتياقا على ثمرة حبه وحمل إلى أبيه النبأ وباح بسره . وكانت ليلة سوداء ! . وبادر صالح إلى طفله يعجب به بين ذراعيه وإلى فتاته يضمها الى صدره شغفا

ظل الأب حانقا أياما يزمجر . ياللعار !! ابن العائلة الوحيد . ابن الباشا الذى يملك ألفا ومائتين يتزوج من فتاة وضيعة المولد من نساء الشوارع . ياالاغواء بنات مصر !! لكن المسكين نسى أنها مفرطة الجمال . ليته رآها . وجسمها البديع يعدل أطيانه وخزائنه

بعث إلى ابنه خطابا يهدد بحرمانه من الميراث وألا ينفق عليه إذا أبقى على معاشرة هذه الخاسرة التى سلبته عقله المأفون . . ولكن الطفل الصغير . أين يذهب ؟ والفتاة العذبة الشهية كيف يذوى جمالها تحت ذلة الانكسار ؟ وهى تحبه وهو لايسلو ماقدمت له من نفسها من لذة وسعادة . . فلتسحق الأبوة العاتية . والشاب الطريد يرزقه الله برزق غلامه . لم يجد على خطاب أبيه ردا فسكت .

ومضى شهران أنفق فيهما كل ماله . وأوشكت فتاته أن تذل

وبعث الأب يعرض على ابنه الكافر الصفح والغفران إذا طلق الخبيثة . وهو يتعهد بتربية الطفل الذى يتم من أمه

وأشفقت على تربية ولدها وطلبت اليه أن يطلقها عملا بالنصيحة . وأبى لأنه يجن جنونا اذا رآها تخرج من يده

وبكت بين يديه ليالى طويلة . حتى أذابت بدموعها قوته . وذكرته . وأطاعت أمومتها على فراقه

ورضى عنه أبوه . فأخذ الطفل فى كفالته . وبحثوا عن مرضع تتم له الاملاج . وكانت أمه تعرض نفسها بتوصية خادم زنجية احتالت على التعرف بها وتمت لها الحيلة . وعادت تمنح ثدييها لفلذتها

وقد غابت سعاد عن القاهرة منذ أول يوم من فراقه ظن صالح أنها خائنة ، أشبعت متعتها ثم غدرت به وتبعت غيره فلعنها وندم

ويظهر أن الفتاة بهذه التضحية ، كان شعور طيب يخلع عليها مسحة من الجمال ممزوج بالحنان جعلها أكثر فتنة وهى مشردة محزونة متهدلة .. حتى وقعت من نفس الشيخ الكبير . الذى وجد فى دمها المتفجر بعث الشباب وفى جسمها الرخص عالما جديدا

وأغدق الشيخ على مرضع حفيده منحا كثيرة وفقد عقله .. وأولع بها ولوعا

وفى الصيف عندما عاد صالح صعق لأول مرة وابتدرت الى أنفه الذابل حمرة خفيفة عندما صادفها الى وجهه وكانت تفتح له الباب

وعلى المائدة تحدث الأب الشيخ لابنه عن المرضع المخلصة المتفانية ، وعن وداعتها وخنوعها فضلا عن رشاقة حركاتها ولينها

بعد أيام كان الشيخ المدله يتوهم لنفسه مرضا جبارا لا يستطيع أن يقوم على خدمته فيه باخلاص غير تلك الفتاة التى أثبتت تفانيها فى ستة أشهر طوال ، ولا ضمان للانتفاع بها وحيازتها إلا من طريق واحد : الزواج !

الشيخ المكتهل لايخشى الله ويريد أن يتزوج من البنت التى كان ينعى على ابنه الشاب اتصاله بمولدها الوضيع ويتحايل على ذلك بمائة وسيلة . . حكمتك اللهم يارب العالمين .. خمسة آلاف يعرضها مهرا لفتاة لو بيعت جسما ولحما لاتأتى بنصفها .. والفتاة المتدللة ترفض وتطمح فى المزيد . الشيخ مجنون فليهب عشرين فدانا .. ثلاثين .. خمسين . الجمال قوة تسخر المال . الناس عبيد له . خمسون لاتكفى . سبعون.. مائة .. يالك من حمقاء غريرة !! واذا غضب عليك الليلة . وطردت الى الباب . ربما لا تجدين مبيتا غير العراء . مسكينة الفتاة مغرورة عنيدة

واعترض صالح رغبة أبيه . فغضب عليه ولعنه لعنة آبدة ! ! . وطرده من إرثه وأوصى لفتاته بنحو خمسين فدانا وعقد عليها زواجا باكراه

وليلة العرس أفضت اليه أنها زوجة ابنه وأم ذلك الطفل الصغير الذى جاءت من أجله لترضعه . وأصابه الشلل منذ تلك الليلة

وظلت عند قدمه شهرين كاملين تقوم بخدمته وعلى صدرها طفل تتوسل بحرمته اليه تارة وتضرع أن يصفح عن أبيه ويعيده الى كنفه فلا يزداد إلا تحرقا وحقدا ولولا بقية من الاشفاق على الطفل البرىء كانت تقعده عن تمزيق وصيته لفتاته

وظل يعبث فى شعرها السبط بأصابع متشنجة ويعض فى كتفيها غيظا حتى أدماها ولم تبد له تألما حتى ذوت قوى الشيخ وانصرع

وليلة مات بكته بملء عينيها الجميلتين وقلبها الطهور !

وعادت سعاد مع زوجها وولدها الى حياة هنيئة ينعمون جميعا بما وهب الشيخ للجمال فى نشوته .

.:.

هذه قصة ، وقصة أخرى نقيضتها أرويها لك :

كانت هدى صديقة عائلتنا وتدرس اللغة الألمانية بمدرسة باب اللوق عند ما كنت أخاطب ابن أخى مرة وحسبتها لاتفهم هذه اللغة ، فجاءت الى يوما تطلب معاونتها على تفسير قطعة « فرانتسزكا » من كتاب « دويتشس ليزيبوخ فيرهوهن ميدشن شولن » وجعلت منذ ذلك اليوم تعرض على موضوعاتها الانشائية . لقد كانت هدى

تلميذة صغيرة مجدة .. مؤدبة شديدة الحياء . بريئة الأعين نقية الوجه . لم تبلغ الخامسة عشرة أو تكاد .. جمال .. فتنة .. حركات مفرطة الأنوثة ، يبهت الناس لها

ويوم وضعت فوق ساقيها جوارب طويلة كان شيخ محدودب الظهر يطوى الأرض بعصاه الى بيت أبيها ويستخدم عماله الشياطين والزبانية

الشيخ عمدة بلدة (...) قليوبية يملك مائتى فدان أو أكثر . وأبوها موظف بسيط لا يملك غير نفقة شهر على الأكثر

والشيخ سكير مريض يقضى عامة يومه متسكعا فى فى القهاوى والبيوتات العامة فى المدينة . ثم يعود قرب منتصف الليل فى عربته الى بلده ثملا منهوبا يقذفه خدم الحانات ويسلبونه كل ما يمكن سلبه . طلب يدها من أبيها . وما كان المأفون ليرفض . ودفع اليه مهراً ألفا وخمسمائه فباع له شباب ابنته ! . وأكره الجشع الظالم ابنته القاصرة على الزواج من الوحش الجبار .. . وزفت اليه فى ليلة عصيبة !

وتصفت دماء العذراء المرهقة فى عظامه النخرة . وكان الشيخ حسونه باشا مصابا بمرض وبيل . أنكى من السل وألعن . . الزهرى ! وأمرضها بدائه . وبعد عامين فى عذاب النكر وضعت له فتاة شوهاء ولزمت الفراش لا تبرأ

وبكى أبوها واستغفرها وندم

وأغوت الباشا حسونه امرأة خليعة من نساء عماد الدين كانت تشتغل بالتمثيل استأجر لها « فيللا » فى هليوبوليس فرشها من محال البون مارشيه وأقام فى حجرها لا يبرح . وظلت ضحيته على فراشها تتضور فطلقها واستراح ليضع حدا لتعذيبها وختم جريمته غير آبه وفى جوفها نار تلظى ، و يحرقها لهيب الداء الخبيث . . أصبحت هيكلا من عظام متداعية . بعد أن كانت جسما متفتحا للشباب يشتهى

اذا مشت تتأوه ، فى صوتها إيلام . اذا جلست لا تطيق ، سلوتها البكاء . . نذرت نفسها للموت مراراً وأخذ يتلذذ بمنظر تعذيبها أية فظاعة . . أية قسوة . . أية جريمة على الشباب والنسل والوطن !

ابن عمها طبيب ، كان يحبها فى يوم من الأيام ، عنى بابنتها . . وقام على علاجها حتى شفيت ، وكبرت ، وأصبحت فتاة فخر الأمهات جميلة . جميلة . . كعصفور فى الربيع

وطلبها أبوها وانتزعها من أحضان أمها الكليمة ولا يدعها تراها إلا كل شهر والبنت تتلهف على أمها

إذا سمعتها تتحدث عن نفسها المعذبة بكلام يقطع أقسى القلوب خلتها صاحبة قلب كبير متصدع يجذب من عينيك دموعك . . ولطالما أبكتنى هذه الصغيرة . « ليتنى ما خلقت ولم أولد ليتنى كنت يتيمة ! » آه ! مسكينة أيتها البريئة .

وكان الشيخ المتمرد يصخب على هذه المخلوقه التى تذكره بجريمته كلما وقع عليها ناظراه: فقد حبسها فى غرفة بلا منفذ وجعلت امرأته الجديدة تتفنن فى التشفى منها بكل صنوف العذاب . وحشية قاسية فظاعة لا تتصور . كأنما أساءت اليها مرة أو تحمل لها حقداً

وقد أسرت الى الصغيرة عندما زرتها قبل راحتها الأخيرة ، وكانت وارثة عن أبيها مرض الزهرى ، أنها تصفح عن والدها الذى شهد بعينه زوجته الجديدة تضع فوق صدر ابنته مروخاً كاوياً أحرقه ، بعد أن جزت كرها شعرها الجميل وكانت لا تسمح لها فى صميم الشتاء بغير ثوب واحد رقيق يلى جسدها ، ولا غطاء على مضجع رطب يقض أضلعها الضعيفة

ودعت الى أمها وتوسلت أن تراها ولم يسمح لها أحد

وكانت تخفى بين ثيابها خصلة من شعرها الذى جز كرها عنها ، أعطتها لى ، وهى كل ماتملك وأعز ما تحرص عليه رجاء أن أحملها الى أمها وقالت بالدموع: « سلم لى على ماما وخليها تفتكرنى »

وعند الصباح وجدت قطعة جامدة

ولا تزال أمها هدى الى اليوم تخال ابنتها قد كبرت وستتزوج غدا وتزف الى الملائكة . فقد أصبحت بذهول

مصطفى كامل اسماعيل

الحياة والحب في مدريد

يرتكب كل جرم فى سبيلها ثم يقتل غريمه ويخنق حبيبته ويسلم نفسه للقضاء

فى مدينة مدريد — مدينة الجمال — وفى أحد أعيادها العامة كانت احدى الحانات غاصة بالرواد . وكان الناس جلوسا يضحكون ويمرحون وهم يحتسون كؤوسهم لا فى صمت ولكن فى هرج كثير وضحك وفكاهة يتناقلها هذا عن ذاك

واجتمع نفر من هؤلاء حول احدى الطاولات تتوسطهم فتاة اسبانية بعيون سوداء فتانة وهى تميد بخصرها تبعا لألحان الموسيقى .

وهذه الفتاة هى روزا التى ترقص كل ليلة فى هذه الحانة والتى يتكالب حولها جمهور الشبان المتيمين بحبها والذين يرشقونها بأعين ظمأى الى جمالها الفاتن وحسنها الخلاب .

وكانت هذه الفتاة رغم جمالها وحسنها لاتضن بابتساماتها وقبلاتها بل تبيعها بثمن بخس . وهى فوق هذا وذاك تحيا حياة بسيطة طليقة تنام حيثما تريد وتقضى بقية أوقاتها حيث تود

ولكنها أبداً تواقة الى الأشياء البراقة

ودعيت الفتاة الى دورها فقامت كالغزال الشارد وشرعت فى رقصها مبتهجة فرحة مرحة واجتمع حولها كل عاشق متيم بحسنها وانزلق وشاحها عن كتفيها فحدجتها أعين سكرى بالنبيذ وتقدم اليها واحد كان أشدهم جنانا وأجرأهم قلبا فأمسك بذراعيها وجذبها اليه وقبض عليها

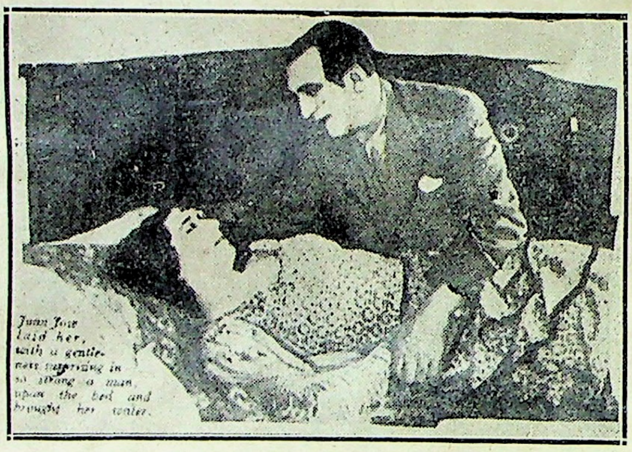

ولما وصل الى غرفته وضع هذا الحمل وجعل يحنو عليه حنوا غير متوقع من مثل هذا الرجل القوى

بيد من حديد ووضع على فمها قبلة حارة وحاولت الفتاة أن تنفر منه وأن تجد لنفسها سبيلا للفرار فألقى بها على الأرض وهو يقول

— أى حق لك عن اعطائى ما أريد من القبلات ؟ ألست حقا للجميع ؟

وأغمى على الفتاة وهى راقدة على الأرض وقد أغمضت عيناها وشحب وجهها

ودخل الحانة شاب فوقف فى مؤخرة الجمهور ووقعت أنظاره على هذا المنظر منذ البداية فأحس قلبه يكاد يثب من صدره اشفاقا على الفتاة وحقدا على هذا الشاب النزق فاخترق لنفسه طريقا فى وسط هذا الزحام.

وكان هذا الشاب عريض المنكبين بادى القوة والجبروت فأفسح له الناس الطريق فى صمت وسكون ولم تمض لحظة حتى كان الشاب المعتدى مستلقيا فوق الثرى لايستطيع حراكا .

وانحنى هذا الشاب القوى فوق الفتاة والتقطها بين ذراعيه وسار بها فى طريقه دون أن يعترضه انسان واخترق شوارع المدينة وطرقاتها حتى وصلا الى دار حقيرة صعد سلمها وهو يحمل حمله الخفيف

ولما وصل الى غرفته وضع هذا الحمل وجعل يحنو عليه حنوا غير متوقع من مثل هذا الرجل القوى ثم أتى

بماء رشه على وجهها حتى أفاقت وتنهدت تنهدا عميقا وتحركت جفونها حركة التيقظ .

وخفق قلبه حين فتحت الفتاة عينيها ونظرت اليه نظرات الفزع بادىء الأمر ثم نظرات الدهشة والتعجب

وكان جوان جوس شابا ساذجا على الفطرة ولكنه كان طيب القلب حى المشاعر . وطالما جازف بحياته فى سبيل نصرة الضعيف ولكنه لم يكن يعرف عن النساء الا قليلا وان كان فى ذاته يعبد الجمال

ودهشت روزا حين ألفت نفسها قد انتقلت من حديقة الحانة الى غرفة يجلس فيها رجل لم تر وجهه قبل اليوم ولكنه يحنو عليها حنوا عجيبا ويرمقها بنظرات العطف والاشفاق — نظرات لم ترها فى انسان من أولئك القوم الذين تقع أنظارها عليهم كل ليلة

فلان قلبها وجلست فوق الفراش وقطعت حبل الصمت قائلة فى همس حلو

— أين أنا ؟

— فى غرفتى . فقد أتيت بك الى هنا . وسأعيدك الى دارك حينما تشائين .

— دارى ؟

ثم ضحكت ضحكة مؤلمة وقالت

— ما هذا ؟ انى شريدة بغير دار !

— اذن . . . هل تشرفينى بان تجعلى هذه الغرفة دارك ؟

فخدجته بنظرة دون أن تجيب ، ثم اصطبغ وجهها بحمرة الخجل والتمعت عيناها ببريق اجتذبه اليها فأمسك بيديها وقال وهو مشرق الوجه

— انك آية فى الجمال ! انك فتنة ! ! !

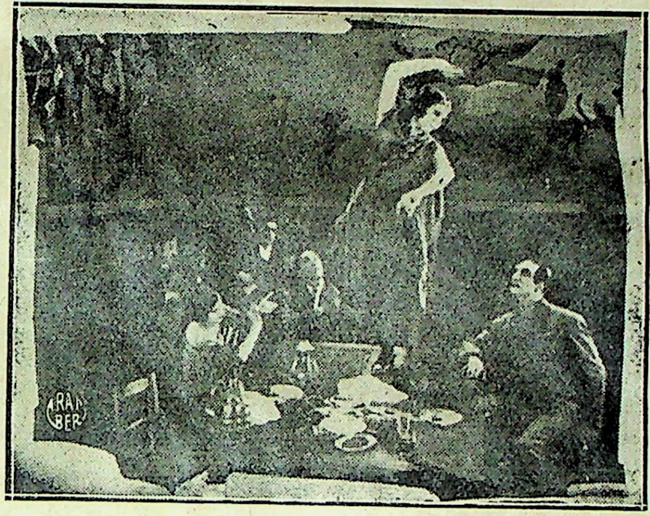

وأتلفت قلوبهم وكثيرا ما كانوا يذهبون الى احدى الحانات يحتسون بعض الكؤوس وهم يضحكون. وقد ترقص روزا وتغنى لجوان

ولشد ما كان عجبه وفرحه حين ألفى يديها تطوقان عنقه

والتقت الشفاه بالشفاه

وكانت الأيام التى تلت أسعد أيام فى حياة جوان فأصبح يحيا فى حلم لذيذ ممتع يضحك ويغنى وهو فى عمله حتى اذا أتى المساء ذهب يستمتع بروزا الفاتنة :

***

وكان لجوان صديق يدعى اندريه متزوج من فتاة اسمها تونيلا تشتغل فى مصنع للروائح العطرية وتعهدت تونيلا أن تجد عملا لروزا فى هذا المصنع ولم تمض أيام حتى كانت الفتاتان تمضيان معا كل صباح الى عملهما وتعودان مساء الى موضع البناء الذى كان يعمل فيه جوان وأندريه ينتظرانهما حتى ينتهيا من عملهما ثم يعودون جميعا الى دارهم

وأتلفت قلوبهم وكثيرا ما كانوا يذهبون الى إحدى الحانات يحتسون بعض كؤوس زهيدة الثمن وهم يتحدثون ويضحكون . وتقوم روزا فى بعض الليالى فتغنى لجوان أغانيها الاسبانية القديمة الشجية وترقص أمامهم رقصهم البديع الخلاب

واستحكم الحب بين روزا وجوان حتى أصبح يضرب به المثل . بيد أن سحابة خفيفة ظهرت فى سماء حبهما وحياتهما الهنيئة وكانت هذه السحابة رجل يدعى باكو هو أحد مشاهير المقاولين ورئيس جوان

وكان باكو رجلا مثريا غنيا جميل الهندام حسن المنظر وهو بعد زير نساء يعبدهن ويحب الجمال ويفتتن بالحسن أينما كان ومهما كان .

واتفق يوما أن كان باكو واقفا عن كثب يرقب

حركة العمل فوقعت انظاره على الفتاتين — روزا وتونيلا — واقفتين فى انتظار جوان واندريه

فاستلبت روزا قلبه لأول وهلة فجعل يرمقها بنظره مدة طويلة حتى أن جوان وصديقه وسائر الجميع يضحكون وهى غافلة عن تلك الأعين الولهى المتدلهة فى حبها .

ولم ينم باكو تلك الليلة بل كان مشغول الذهن بهذه الفتاة التى اجتذبت لبه وكلما أمعن فى التفكير زادت جمالا وحسنا وراقت فى عينيه

وكان أكثر مايمضه أن ينعم بهذا الجمال عامل حقير لا يستطيع أن يقدر مثل هذا الحسن .

ولما انبثق الفجر واستيقظ باكو اتجه ذهنه على الفور الى روزا فاعتزم أمرا

ذهب باكو الى ازيدرا وهى امرأة عجوز نزاعة الى الشر تقطن فى الدور الارضى من المنزل الذى يسكنه جوان وروزا . وجعل باكو يغريها على معونته للاستحواذ على روزا وقال لها .

— انها فتاة جميلة فاتنة . وان من ظلم المقادير أن تصبح مثل هذه الفتاة فى حوزة رجل عامل حقير كجوان وانى لأستطيع أن أمتعها بالحياة المترفة

فنظرت اليه المرأة العجوز لحظة وبدأ الخبث واضحا جليا على وجهها فأدرك باكو على الفور ماترمى اليه فضرب بيده فى جيبه وأخرج بعض أوراق مالية قدمها اليها فانطلقت أصابعها على الأوراق فى طمع وجشع وانقلبت أسارير وجهها فتبسمت وأبدت الخضوع والرغبة الحارة فى بذل المعونة وقالت

— اتركنى لى وسأبذل قصارى جهدى . واعلم أن

واستحكم الحب بين روزا وجوان حتى اصبح يضرب به المثال

الفتاة لا تزال فى سن لا ترى فيه للمال قيمة بجانب الحب ولكنها سرعان ما تدرك حقيقة الأمر وتتبين الغث من الثمين

ومكثت ازيدرا طول يومها تترقب الفتاة كما يترقب العنكبوت صيده

وأخيراً سمعت وقع أقدام الفتاة فعدت تناديها وتدعوها الى الدخول

وكانت على الطاولة زجاجة من النبيذ الجيد وقدحان اشتريت كلها من مال باكو . ودعت الفتاة الى الجلوس وملأت كأسين مترعتين وقالت لها

— ما أبدعك وأجلك اليوم ياروزا!

فنظرت اليها روزا نظرة الريبة ثم أمسكت بكأسها وجرعتها وأبدت شيئا من عدم الرضاء لم يغب عن عين العجوز

والواقع أن روزا وهى فتاة كثيرة النزور محبة للتغير والتبديل، قد أحست ببداية الضجر من حياتها الراهنة لأنها لم تكن تتقن عملها وكثيرا ماشكت منها رئيستها

وأدركت ازيدرا الخبيثة معنى مابدا على وجه روزا فانحنت عليها وربتت يدها الغضة البيضاء بيدها المجعدة العجفاء وقالت

— بشرفى ياروزا لقد بدأت أشعر كأنى أمك ولا يروق لى أن أراك تشوهين هذه الأيدى البضة فى المصنع فانها لم تخلق لمثل هذا العمل . ولست وحدى أرى هذا الرأى فلدى صديق هو معجب بجمالك كل الاعجاب . وانه ... وانه ليود أن يقوم بكل شىء من أجلك

وما ان رأت حاجي الفتاة قد تقطبا ووجهها قد أربد حتى أسرعت فأمسكت بسلة وقالت

— انظرى . لقد طلب الى أن أقدم اليك هذه السلة . انها هدية بسيطة . هى عربون اعجابه العظيم بك .

وقذفت روزا بالسلة الى موضع القدم بكل ماتملك من الاحتقار وقالت

— تذكرى انى لم أولد بالأمس يا ازيدرا

واتجهت الى الباب لتخرج وأرادت أن تفتحه فاذا به يفتح من الخارج وظهر باكو واقفاً فى المدخل .

وتبسم باكو حين وقعت انظاره على الفتاة ومد يده اليها .

ولم تفه روزا بلفظ ولكنها دفعت يده ومرقت من الباب الى الطريق .

وكانت روزا لا تزال على حبها لجوان تحبه وتهواه فلم يكن اعجاب باكو كافيا فى تلك اللحظة لاغرائها ولكنها ما انفكت روزا التى لم تبق على حال واحدة والتى لم تخلص طويلا لانسان

وما أقبل الليل حتى قدم باكو ومعه فرقة من الموسيقيين يعزفون تحت نافذة روزا فلم تتمالك ان ذهبت الى النافذة وأطلت منها ولكنها تذكرت بغتة حبيبها جوان فنظرت اليه وراعها ما رأت على وجهه من الانقلاب الخطير الذى لم تره يوما من قبل ثم قال لها

— سأتألم حقا لكل من يحاول أن يفرق بيننا ياروزا

فترامت عليه روزا وطوقت عنقه بذراعيها وجعلت تمطره بقبلاتها وبألفاظ الحب والاخلاص

وسارت الحياة هنيئة كما كانت دون أن يعكرها شىء وكانت روزا تجتنب طريق ازيدرا قدر ماتستطيع وكانت فى الواقع متيمة بحب جوان فأبدت له كل ضروب الاخلاص والحب .

وأقبل أول نذر الحظ السىء فطردت روزا وصديقتها تونيلا من المصنع لاستغناء المصنع عن كثيرات من العاملات كانتا من بينهن فذهبت الفتاتان الى حانة كانتا على موعد لمقابلة رجليهما فيها .

وتأخر جوان واندريه فذهبت تونيلا تبحث عنهما وتركت روزا وحدها

واتفق أن باكو كان جالسا فى غرفة أخرى بهذه الحانة محجوبة عن مكان روزا بستائر مع بعض أصدقائه وصديقاته ، ولم يكن باكو قد نبذ حبه لروزا أو نفض يده من أمرها ولكنه ترك الأمر للدهر ومعونة ازيدرا .

واتفق أيضا ان كانت هذه المرأة العجوز فى نفس الحانة تحتسى الكأس إثر الكأس .

ثم وقعت انظارها بغتة على روزا

ولما ألفت أنها جالسة منفردة رأت أن الفرصة الذهبية قد حانت فى هذه اللحظة وشجعها على انتهاز هذه الفرصة ما رأت من الفتاة من تجهم الوجه وجلسة الذلة والاستكانة

واتجهت الى الباب لتخرج وارادت أن تفتح فاذا به يفتح من الخارج وظهر باكو واقفا فى المدخل .

فأقدمت فى غير وجل وطرقت الموضوع على الفور دون أن تعمد الى اللف والدوران فقالت

— ان محبك الغنى موجود فى هذا المكان أيتها العزيزة ومعه جلساؤه ومن بينهم فتيات هن مثال الحسن وآية الجمال .

ورفعت الفتاة وجهها ونظرت نظرة حزينة شجعت المرأة العجوز

— هيا بنا نطل من خلال الستار . لحظة واحدة

ياروزا وانظرى كيف يستطيع هذا الرجل أن يختار لنفسه زوجة من بين هذه الجميلات الفاتنات

وأحست الفتاة روزا الرغبة الجامحة الى رؤية هاتيك الفتيات اللاتى ينافسنها فوثبت على أقدامها وتبعت ازيدرا بعد تردد لم يدم الا لحظة .

ونظرت الفتاة من خلال الستار فوقعت انظارها على فتاة جالسة بجانب باكو وهى تضرب على آلة موسيقية وتغنى لباكو

وهمست العجوز قائلة

— انك تستطيعين أن تقومي بخير من ذلك . فماذا لاتدخلين ؟ انك حزينة كئيبة هذه الليلة فأنت فى حاجة الى شىء من الطرب والمرح . وليس فى الأمر الاجلسة بسيطة بريئة . ولا أحسب أن جوان يحرمك من متعة قصيرة .

وكانت وهى تتكلم تدفع الفتاة شيئا فشيئا حتى وصلا الى وسط الغرفة . وبسرعة البرق أزاحت الستار وكشفت للجالسين عن روزا .

وسرعان ماوثب باكو الى جانب روزا يدعوها فى رجاء واستجداء الى الاشتراك معهم وكانت هى فى غضون ذلك تفكر فى أمرها ثم نظرت الى باكو وتبسمت له وتقدمت الى أحد المقاعد .

وتذكرت روزا حياتها السالفة فاغتبطت وسرت البشاشة الى وجهها وشاع السرور فى ملامحها وشرعت تغنى لباكو أنشودة كانت تغنيها لجوان

ووصل جوان واندريه إلى الحانة فكان صاحب الحانة قد طلب اليه أن يخدعهما وينكر وجود روزا ومجيئها .

وهم جوان واندريه أن يتركا الحانة واذا بتونيلا قادمة نحوهما وقالت لهما انها تركت روزا فى هذه الحانة وحدها حتى تبحث عنهما وشاء سوء الحظ أن تغنى روزا فى تلك اللحظة

وهجم جوان على الغرفة

ودخل جوان واحتدم الأمر بينه وبين مخدومه ثم التفت جوان الى روزا وقال لها فى لهجة عنيفة شديدة ملؤها السيطرة والسلطان

— إذهبى الى الدار ياروزا وانتظرينى هناك

وراع روزا مافي لهجته من القوة والسطوة فخرجت تعدو من الحانة

وأدار جوان وجهه الى باكو وشبك ذراعيه فوق صدره وركن ظهره الى الباب وقال :

— لسنا هنا سيداً ومسوداً يادون باكو ولكننا رجل بأزاء رجل . روزا ملكى وحدى

فتبسم باكو فى تهكم وقال :

— حسنا قد يكون الأمر كذلك ولكنى أظن أننا أصبحنا فى وقت يضايق العمال فيه أسيادهم مضايقة كبيرة .

واعلم اننى اذا أردت روزا فلا مناص من الفوز بها

فقال جوان يتحداه وهو واقف يحرس الباب

— إذا كنت تريدها فاتبعها الآن

ولكن باكو لم يحاول أن يخرج . واذ ذاك ترك جوان الحانة مع اندريه وتونيلا وعاد الى بيته

وكان من أثر تلك السلطة القوية التى بدت فى لهجة جوان أن خضعت روزا حينا من الوقت وتباعدت عن باكو

وأراد باكو أن يثأر لنفسه من جوان على تحقيره واهانته له وتحديه فطرده هو وصديقه اندريه ولم يكتف بذلك بل أوحى الى كل المقاولين ألا يستخدموهما فى عمل

وأقبل الشتاء ببرده وزمهريره وهم جميعا عاطلون بغير عمل

وامتنعوا بطبيعة الحال عن ارتياد الحانات فى بعض الليالى وكفت روزا عن العزف والغناء

وأدرك جوان أنه سوف يفقد روزا عاجلا ولكنه لم يكن يصدق ذلك فكان يخرج كل يوم ويطرق كل باب للعمل ثم يعود وهو ذاهب اللب قانط يائس .

وكانت روزا فى غضون ذلك تجلس فى غرفتها الحقيرة

بغير دفء وتنتظر عودة جوان عسى أن يبشرها بعثوره على عمل

ووقعت النكبة المنتظرة ذات مساء وقد عاد جوان يدلى اليها بفشله فوثبت روزا على قدميها وقالت فى اهتياج

— وماذا أفعل ؟ اننى لا أستطيع البقاء على هذه الحال والموت جوعا . واذا لم تكن مستطيعا أن تنفق على فثم كثيرون يستطيعون ذلك

ومر باكو بذهن جوان وأدرك كل شىء فقال :

— بربك ظلى على حبى واني أقسم لك اننى سأعمل على توفير الراحة والهناء لك

واندفع الى الخارج ومرق فى الشوارع وأخيرا رأى أن لا مفر له من السرقة فسرق .

ولكن جوان كان لصا مزيفا وكان غبيا فى اصوصيته ولهذا فقد داهمته الشرطة وهو متلبس بجريمته فى حانوت الصائغ .

وقبض على جوان وحوكم وصدر عليه الحكم ولم يكن كل هذا ليعبأ به جوان لو أنه كان قد رأي روزا ولو مرة واحدة .

وما انفك جوان حتى بعد صدور الحكم عليه بالسجن يعتقد فى صلابة رأى أن روزا ما ظلت تحبه وتخلص له فى الحب .

لم تكتب اليه . . نعم . . . ولكن قد تكون مريضة فلم تستطع

وبقى جوان على هذا الاعتقاد حتى تسلم خطابا من صديقه اندريه ينبئه بحقيقة الأمر . فاستطاع أن يعرف من خطاب صديقه أنها تعاشر باكو فى منزل فخم

وجن جنون جوان حين وقف على الحقيقة فذهب الى رفيق له بالسجن وطلب اليه أن يعينه على الهرب فى هذه الليلة .

وفى هذه الليلة فعلا تكسرت قضبان سجنه وركن الى الفرار .

واتجه من فوره الى المكان الذى ذكر اندريه أن روزا تقطن فيه .

وفيما كان جوان يصعد السلم سمع وراءه وقع أقدام فتريث . نعم وكان الحظ حليفه فقد كان القادم هو باكو نفسه .

ولما اقترب باكو من جوان صاح هذا الأخير قائلا :

— دافع أيها الكلب . دافع عن حياتك

ثم قذف اليه بمدية وأطبق عليه كالوحش الكاسر المفترس ودام القتال بين الرجلين مدة خمس دقائق وأخيرا استطاعت مدية جوان أن تجد سبيلا الى قلب باكو. فترنح باكو وخر على الأرض صريعا وقد فارقته الحياة

وسرعان ما اطبق عليها جوان فوق فمها فأقفله

وكانت روزا تكاد تنتهى من عمل التواليت حين فتح جوان الباب بالمفتاح الذى عثر به فى جيب باكو ووقف وراءها ينظر اليها ورأته هى فى المرآة فأدارت اليه وجها بدت عليه مظاهر القلق والفزع وقالت

— جوان ! ماذا تفعل هنا ؟ يجب أن تذهب على

النور قبل أن يجىء باكو

فاقترب اليها قليلا وقال

— انه لن يزعجنا بعد ذلك ياروزا . فلا تخافى وهيا بنا من هذا المكان فنذهب معا ونعود سيرتنا الأولى من حياة هنيئة سعيدة . لقد كان ماسلف حلما مزعجاولكننا سرعان ماننساه

وتبينت روزا فى وجه جوان حقيقة الأمر فقالت

— لقد قتلته ! ياقاتل

فاحتج قائلا :

— لم أكن قاتلا ولكنه كان نضالا شريفالاغبار عليه

فصاحت فى وجهه قائلة

— أيها الأحمق . لقد تمكنت أخيرا من اقناعه أن يتزوج منى

وعادت الى النافذة وأطلت منها تصيح فى طلب المعونة

وسرعان ماأطبق عليها جوان بيديه فوق فمها فأقفله ولكن ذلك كان بعد فوات الوقت فقد تجمع جمهور من الناس تحت النافذة وتقدم شرطى صاعدا السلم فى طريقه الى الدار

ويئس جوان فقبض على عنقها بيد من حديدوكان الضغط يزداد تدريجا حتى انقطع تنفسها كل الانقطاع وخرت على الأرض وقد فارقتها الروح .

وانزاحت الغشاوة عن عينيه فى تلك اللحظة وأدرك مااقترفت يداه فى تلك اللحظة فرفعها بين ذراعيه وخطا إلى الباب

وكان رجال الشرطة ومن ورائهم جمهور الناس قد ازدحموا فوق السلم حتى غص بهم ولم يحاول جوان أن يشق بينهم طريقا

ووقف ثم نظر اليهم وهو يحمل حمله وقال

— خذونى وافعلوا بى ما تشاءون . فاننى الآن لست حيا . لقد كانت هذه الفتاة حياتى وهاأنذا قد قتلتها فاختطفت حياتى

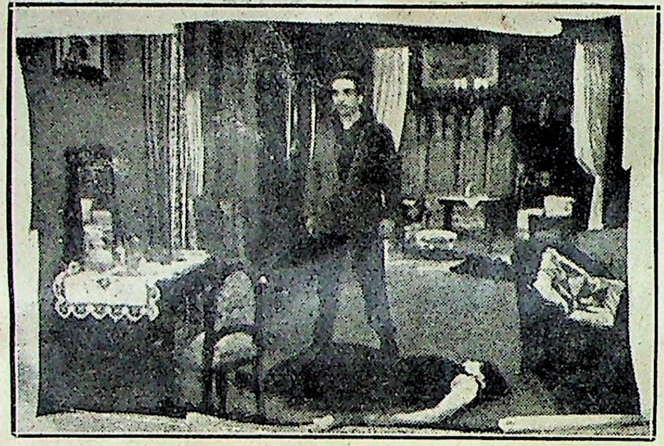

وانزاحت الغشاوة عن عينيه فى تلك اللحظة وادرك مااقترفته يداه

قارىء الكف ويقول لك عن كل شىء حاضر وماض ومستقبل

الفقير المنجم المصرى حسن حسين القوصى

الذى درس العلوم الروحانية بالهند ومارس صناعته بأوروبا وأمريكا ثمانية عشرة سنة ، حضر بمصرواتخذ مكتبا بالعمارة نمرة ١٣ بشارع فؤاد الأول بجوار شملا وهو مستعد لمقابلة زبائنه من الساعة التاسعة صباحا لغاية الظهر ، ومن الساعة الثانية لغاية السابعة مساء ويوم الأحد لغاية الظهر فقط

واذا أردت أن تستفهم عن أى حال من أحوالك فارسل اسمك واسم والدتك وتاريخ ميلادك مع عشرة قروش اذن بوسته

أول ماشطح نطح

بقلم أديب ظريف

شغفت بالأدب منذ حداثتي فلما ناهزت العشرين ألفت رواية أودعتها ثمار الدرس الطويل ومضيت بها الى صديق لي من أعلام البيان ليرى رأيه فيها

فقال رحمه الله بعد ان نظر فيها ساعة: أي صديقي العزيز أراها حسنة الأسلوب جزلة الألفاظ منمقة العبارة ولكن تنقصها الحكمة التي هي وليدة التجاريب وعصارة الأيام، وأنت فتى غض لم تبرح أقصى الصعيد منذ ولدت، ولم تدرك بعد أسرار الحياة، ولا مارست خطوبها ومحنها. فالرأي عندي أن تدع التأليف الآن جانبا، وتدفع بنفسك في غمار الحياة الزاخر حيناً من الدهر، حتى اذا ما امتلأت رأسك عبراً، وصدرك معرفة، ووضعت كتابا جاء آية في الابداع. هذه نصيحتي اليك حملني الوفاء لك على اسدائك إياها والا فأنت وشأنك

فأطرقت أفكر، فرأيت أن الشيخ على صواب فقلت:

• كيف أحتال يا مولاي؟

فأجاب: سافر الى البلاد النائية، وعاشر الأصدقاء والأعداء وخالط الأطهار والأشرار، فالغربة نعم المؤدب

قلت: ومن أين أجيء بالمال؟

قال: خير لك أن تكون خاوي الوفاض معدما فان الفاقة تعلم الانسان الصبر والاحتيال وتحشره بين زمرة الأغنياء آونة وزمرة الفقراء آونة أخرى

ثم استتلى الشيخ يقول:

دع كتابك هذا عندي وديعه حتى اذا ما عدت من سفرك طالعناه سويا فترى ما فيه من نقص وآراء فجة

فشكرته على نصيحته وانصرفت على أن أعمل برأيه

وكان والدي — طيب الله ثراه — قد أورثني ضيعة صغيرة فبعتها وسافرت الى الاسكندرية. وفي العين دمعة وفي القلب حسرة، على فراق مسقط رأسي

وهالني ما رأيته في تلك المدينة الكبيرة من طرقات مزدحمة وعمارات تناطح السحاب وحدائق غناء وبحر خضم، وحياة تموج بالوان من النعيم والشقاء

وحاولت أن أتصل بالناس فلم أفلح، فكنت أغشى ملاهي الموسرين، ومحافل الفقراء، ومكامن الأشرار دون أن أختلط بهم اذ أجلس منفردا وحيدا أدرس كل ما يقع أمامي

مر أسبوع وتلاه ثان وأنا حليف الوحدة والأشجان

وفي ذات مساء رأيتني أجلس في أحد أركان مطعم موحش منفر، فاستثقلت الحياة وزهدت في الغربة وحننت الى الوطن وقراه وجداوله وسكونه وغيده. فلعنت الأدب والحكمة. وساعة مضيت الى صاحبي الأديب

وبصرت بتليفون على يميني فجال برأسي خاطر لا أدري كيف سنح. قلت بيني وبين نفسي:

أتكلم في التليفون وانادي «نمرا» وأحادث من يرد علي فأتسلى عن هموم الوحدة

والفكرة صائبة كما ترى. فجعلت أطلب نمرة في أثر أخرى وكلما رد علي انسان وسألني من أكون، اعتذرت اليه وقلت: بل السنترال أخطأ فأنا أريد نمرة أخرى

وهكذا صرفت ساعة ممتعة لم أظفر بمثلها منذ هاجرت من مسقط رأسي

ولم أحفل بخدم المطعم وموظفى السنترال الذين ظنوا بى الظنون ، ولعلهم قالوا فيما بينهم أن بالفتى الصعيدى لوثة

وطلبت نمرة جديدة ، عرفت من دفتر التلفون أنها لسيدة ، فسمعت صوتا عذبا موسيقيا يسائل : من تريد ؟

نخفق قلبى وقلت : أريد الآنسة ليلى

فقالت ذات الصوت الملائكى : أنا هى ياسيدى ، فتكلم

وكنت قد قرأت وسمعت أن الحب يصقل النفوس ويزود الافهام بدروس الحياة ، وأنا فتى لم أعشق بعد ، ولم أذق لذة العناق والمناجاة ، ولم أصطل بنيران الوجد والهجر والغيرة والسهر فاشتهيت أن أقع فى غرام حسناء وأن تكون صاحبة هذا الصوت الساحر مالكة الفؤاد

فقلت : آه ! يسرنى ياسيدتى أن أسمع صوتك ، ربك لاتدعى التليفون ، اسمعى ، أنا فتى نازح عن الوطن ، طال بى الهم ، والهم يطول على الفريد الوحيد ، فرأيت أن أروح عن نفسى برهة بمحادثة فاتنة القلوب وآسرة المهج

فسمعت ضحكة أقسم أن حور الجنان لا يرسلن مثلها بين ظلال الفردوس ، وقالت : أو أنت من العشاق ؟

فقلت وأنا أتكلف لهجة المدنفين : بل ومن أطولهم شقاء ، وأكثرهم هياما وبلاء

فسألت ومن أدراك انى فاتنة القلوب ؟

فتحمست وقلت : تغريدك الحلو ياسيدتى

قالت : كفى ! انى مريضة ، والاطالة في الحديث تؤذي صوتى ، وما أكثرت معك إلا لأنك غريب مثلى . فلقد ولدت بالاستانة ونشأت فى ايطاليا ، وأقمت أخيراً باسكندرية

فصحت : إذن فأنت الفتنة التى ليس وراءها فتنة ! جمال الأتراك فى عشق الطليان فى رقة المصريين

فسرها قولى وراحت تضحك وأنا أروى قلبى المتأجج وقلت :

سيدتى : لقد عشقت صوتك ، وتحدثنى نفسى بأن سيكون لى معك شأن ومواقف ، فهل وقع بخاطرك مثل ما وقع فى خاطرى ؟

فأجابت وكأنها استطابت حديثى : لا أدرى ، لقد أصبت ببرد شديد فى حنجرتى فاغفر لى صوتى الخشن

فقلت : أتسمعينه خشنا بعد كل هذه الحلاوة ! انه خرير الجداول ، وتسبيح الملائكة ، ورنين الفضة ، ووسوسة الحلى ، وهديل الطير ، و . . .

فقاطعتنى بقولها : شكرا لك

قلت : لن أثقل عليك ، وأنت مريضة ، فنامى ياساحرتى أطيب نوم

فغردت : وطاب مساؤك

وآويت الى الفراش وأنا أفكر فى حادثة التليفون فأيقنت أن صاحبي الأديب كان بعيد النظر ، ثاقب الفكر حين حثنى على السفر والتجوال

وبكرت أبحث عن دار ليلى حتى عرفت موقعه من المدينة ، واشتريت ثمارا وزهرا ومضيت الى دارها وأعطيت البواب هديتى وأمرته أن يرفعها مع بطاقتى الى الآنسة ليلى ، وطلبت لها فى البطاقة الصحة والعافية ، ثم انصرفت

وكذلك فعلت في اليوم الثانى واليوم الثالث ، أقدم زهرى وثمارى ودعواتى ثم أعود فى سكون وتواضع

وكان الحب ، أو طلائعه ، قد غلبنى على أمرى فما حاولت أن أستدرج البواب الى ذكر أخبار مولاته ، بل كنت أقول لنفسى حسبي انى أعبدها ، وانها تفهم ذلك

وفي مساء اليوم الثالث ناديتها فى التليفون فردت على تسألنى . من أنت ؟

أجبت . صديقك الغريب ، كيف حالك الآن ؟

فصرخت فى جذل دونه جذل الأطفال : الفتى الظريف صالح الذى يتحفنى كل صباح بالأزهار النضيرة والفاكهة الشهية والأمانى الطيبة

أجبت : نعم يامهجة النفس

قالت : ألف شكر لك ، سأتحمل مشقة الخروج بعد أسابيع ، كما ذكر لى اليوم طبيبى الخاص ، ولقد بصرت بك من نافذتى فرأيت الجمال البديع والظرف الوديع

فسرتنى مقالتها ، وركبنى غرور لا أعرفه من نفسى الا انى قلت :

على الرعية ياسيدتى أن تقدم فروض الطاعة وآيات الاخلاص لمولاها ، وأنا خادمك المطيع وعبدك الذليل أتسمح لى سيدتى بالسؤال عنها فى التليفون في مساء الغد ؟

فصاحت : بلا ريب ياصديقى العزيز ، لعمرى ان اخلاصك ليملأ نفسى لذة وحبورا ، فتكلم فى أية ساعة تشاؤهـا

وقضيت أسبوعا على تلك الحالة ، أنطلق إلى بيتها فى الصباح بهديتى ، وأسأل عن صحتها في كل مساء بالتليفون وكانت ملازمة للفراش حقيقة ، وتليفونها كما أخبرتنى على مقربة من سريرها

قلت لها فى مساء اليوم السابع : كيف حالك الآن ياسيدتى ؟

فأجابت : على أحسن ماأحب وأشتهى

فسالت : أراقدة أنت الآن ؟

قالت : نعم ، أكلمك ورأسى على الوسادة لامن الضعف ، بل التماسا للراحة والسكون

فقلت : انى لأراك الآن بعين الوهم ، يالها من صورة بديعة مدنفة ، يخفق لها القلب شوقا وحنينا

فضحكت وقالت : وكيف تتمثلنى ؟

أجبت : سرير من المعدن الأبيض أو العاج يرقد عليه جسمك البض اللدن ، ووسادة بيضاء قصيرة عليها الرأس البديع الساحر ، وحولك أصص الزهر تفيض بالعرف الذكى ، وأمامك التحف النادرة والمرايا الصافية ومن السقف تتدلى ثريات الكهرباء

فصاحت : صدقت ، ثم ماذا ؟

فقلت : وما لون فستانك وشعرك وعينيك ، تكلمى حتى أتقن تخيل الصورة ؟

فاجابت : فستان من الموسلين القرمزى اللون ، والشعر اسود فاحم ، والعينان فى لون القطيفة السوداء

فصحت : كفى ! كفى ! وحق السماء ماتخيلتك إلا هذه الصورة ، ولون بشرتك يضرب الى السمرة الشهية الى النفوس ، من شمس ايطاليا ، أليس كذلك ؟

ولكنها تركت التليفون قبل أن ألقى سؤالى الأخير

وفى نفس تلك الليلة كتبت خطابا مسهبا الى صديقى الأديب ، ذكرت له فيه مقدار الصور الخيالية التى استوعبها فكرى ، وحدثته بوقائعى مع ربة الصوت الساحر وقلت له فيما قلت :

« وأحسبنى الآن أفيض حكمة وتجاريب ، ألا ترى هيامى بالغانية التى لم يقع طرفى عليها ضربا من الرواية وروائع الخيال ، ولقد تعلمت من الحب الذى داخل نفسى أخيرا دروسا قيمة ، ما كنت لأفوز بمثلها لو لزمت الدار التى نشأت بها ، ومتى عدت الى البلد وضعت رواية سترفع ذكرى الى السماك الأعلى ، والفضل لك ياسيدى ، ولن أهدى الرواية الا لك ياأستاذى الحكيم »

وكنت فى ذاك العهد شابا غريرا مفتونا فعكفت على اهداء الهدايا ، وبث الوجد فى التليفون

وانقضى شهر

وعلمت المثل القائل : « قد تعشق الأذن قبل العين أحيانا » نعم أحببت ليلى ، وشغفت بها ، فكنت أراها فيما يرى النائم تضاحكنى وتلاعبنى وتحدثنى عن هيامها بى ولوعتها ، وكنت أرانى أطوقها بذراعى وألثم شفتيها ووجنتيها

واشتد بى الكرب ، وتقرحت عيناى من فرط السهر وكلما طلبت اليها أن تسمح بزورة أو بصورتها ماطلتنى في لين وتأب وتقول : سنلتقى بعد أيام ، ويوم الشفاء قريب

وقالت لى ذات مساء ، ونحن على التليفون نتسامر : سأخرج فى الغد لأول مرة بعد البرد الذى لازمنى طويلا

فصرخت فى لوعة : ونلتقى صباحا !!

أجابت : بل فى السادسة مساء

قلت : فى غرفتك ؟

قالت : كلا ، انى أكره مقالة السوء

قلت : اذن اذكرى مكان اللقاء

قالت : أتعرف مطعم . . . .

فصرخت : أنا به الآن ، وكل مساء أكلمك منه

قالت : انه بعيد عن الضوضاء والجلبة فميسور أن نتحدث فيه ساعة على انفراد

قلت : ساعة واحدة

أجابت : نعم ، وان شئت أطلنا المكوث

قالت : وسأجيء حاملة طاقة الزهر الأحمر التى وصلتنى منك في الصباح ، لتكون علامة بيننا

وجاء اليوم الثانى يمشى متراخيا كسولا ، ومضى الصباح فالظهر : فأقبل العصر يدب

فارتديت أجمل ثياب ، وصببت الروائح العطرية على جسمى صبا ، ورجلت شعرى أحسن ترجيل ، ثم خرجت من الفندق الذى أنزل فيه وجلست فى مقهى أفكر فى مهمة المساء

وجدت خوفا يداخلنى ، وينفرنى من مقابلة الحسناء ولما سألت نفسى عن السبب لم أفهمه

قلت لنفسى : ماهذا الخوف الذى شملنى أما كنت أتحرق شوقا لرؤيتها ، واستعطفها لتسمح بالزورة القصيرة وجعلت أفكر في الحب الذى عذبنى وهد عزمى

قلت : هل أنا أحبها حقيقة ، أم أحببت الجو الخيالى البديع الذى أحاط بها ، وهل أنا عاشق متيم أم روائى يعشق الخيال ويطلب التزود منه ؟ وفي الحق عجزت تماما عن تفهم عواطفى ، ولكن عدت ولحبها دبيب فى قلبى فقلت امضى ، وما فى الذهاب من بأس

وسرت الى مطعم . . . أقدم رجلا وأؤخر أخرى ووقفت أمام الباب الكبير متهيبا كأنى أمام عرين أسد ونظرت فى ساعتى فاذا أنا متأخر عن الموعد المضروب بخمس دقائق ، فخجلت من نفسى ودخلت متشجعا فما رأيت أحدا

فجلست فى ركن منعزل وأطرقت أفكر ، ورفعت رأسى بعد دقائق لاأدرى كم عددها ، فرأيت سيدة تجلس الى مائدة أمامى ، وظهرها نحوى ففحصتها فرأيت أجمل قوام وألطف خصر وساقين

وحانت منى التفاتة فبصرت بطاقة الزهر الأحمر أمامها

فقلت : هى ، دخلت ولم ترنى

ونهضت على الفور واقتربت منها وقلت والنفس تسيل شوقا وخوفا : ليلى !

فاهتزت كزهرة طلها ندى ، وأدارت نحوى وجهها

فصرخت صرخة هائلة وهرولت أستقبل الباب ، وسمعت ليلى تقول : صالح ! صالح ! أهارب أنت منى أهذا مبلغ وجدك ! وحبك؟

***

ولم اشعر باطمئنان إلا حين وجدتنى فى غمار السابلة فتنفست الصعداء وقلت : قاتلها الله لم يدر بخلدى أنها شمطاء قد يبس عودها وتقوس

وعدت الى أقصى الصعيد

وكسبت تجاريب ! ! !

إلا اننى فقدت مالى

وما سمع الشيخ قصتى حتى كاد يخرج من اهابه من فرط الضحك

وكلما قابلنى سائلنى أن أعيد على مسامعه وقائعى بالاسكندرية

ما تزوجت رجلا الا قتل
ثم تشفق على الرابع من القتل فترفض خطبته لها

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فأحبها حباً شديداً شغلته عن تجارته فامر أبو بكر زوجها فطلقها ثم اطلع عليه وهو يقول:

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها فى غير جرم تطلق
لها خلق سهل وحسن ومنصب ... وخلق سوى ما يعاب ومنطق
أعاتك قلبى كل يوم وليلة ... اليك بما تخفى النفوس معلق
أعاتك لا أنساك ما حج راكب ... وما لاح نجم فى السماء محلق

فرق عليه ابو بكر وأمره فراجعها فقال لما رجعت اليه

أعاتك قد طلقت من غير بغضة ... ورجعت للأمر الذى هو كائن
كذلك أمر الله غاد ورائح ... على الناس فيه ألفة وتباين
وما زال قلبى للتفرق بائن ... فقلبى لما قد قرب الله ساكن
لهنك أنى لم أجد منك سخطة ... وأنك قد حلت عليك المحاسن
وأنك ممن زين الله أمرها ... وليس لما قد زين الله شائن

فلم تزل عنده حتى قتل يوم الطائف: رمى بسهم فمات فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه:

آليت لاتنفك عينى حزينة ... عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى ... أشد وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أشقرا

ثم خطبها عمر بن الخطاب فتزوجها فأولم عليها ودعا أصحاب النبى «ص» فقال على بن أبى طالب: ائذن لى لأدخل رأسى الى عاتكة أكلمها قال: افعل فأدخل رأسه اليها فقال ياعدية نفسها: أهكذا كان قولك:

آليت لا تنفك عينى سخينة ... عليك ولاينفك جلدى أغبرا

فبكت فقال له عمر: مادعاك الى هذا يا أبا الحسن فغفر الله لك انهن يفعلن هذا، قال: أردت أن أعلمها انهن لاعهد لهن فمكثت عنده حتى قتل عنها: قتله أبو لؤلؤة فقالت ترثيه:

عين جودى بعبرة ونحيب ... لاتملى على الأمير النجيب
فجعلتنى المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتأنيب
عصمة الله والمعين على الدهر غياث الملهوف والمكروب
قل لأهل البأساء والضرموتوا ... قد سقته المنون أم الرقوب

ثم تزوجها الزبير بن العوام فمكثت عنده حتى قتل عنها منصرفا من الجمل بوادى السباع: قتله ابن جرموز فرثته وفيه تقول

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد
ياعمرو لو نبهته لوجدته ... لاطائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

فخطبها على بن أبى طالب فبعثت اليه انى لأضن بك عن القتل وانما استحييت فامتنعت وقد تزوجت من اثنين من بعد قولها

آليت لاتنفك عينى سخينة ... عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

تزوج ابنتها ممن لا تحب فتكون سبب شقائها وموتها

قصة أم مسكينة ظلمت ابنتها الوحيدة وهى لاتدرى.

كانت ابنتى وهى طالبة تذهب إلى المدرسة بصحبة « توم ميلر » وهو ابن أحد جيراننا ، وكنا نقطن فى حى العمال المزدحم بالمنازل الصغيرة . . وفي الحق أننا لم نكن نميل الى ارسال أولادنا الى المدارس ، نحن الفقراء لأن الذين ينجحون منهم كانوا يهجرون الحى بأكمله ويذهبون للسكنى فى أحياء الأغنياء وبذلك ينكرون أصلهم وطبقتهم الحقيقية ، وكذلك الفتيات الجميلات من بناتنا . ولذا فقد سررت إذ بدأ « توم ميلر » يتعلق بابنتى « نانسى » ويتصل بها وعملت على تشجيعه لكى ينتهى الأمر فى النهاية بزواجها منه ، وهو العامل البسيط ، وبذا تظل بين طبقتها ولا تنتقل منها .

أما « نانسى » فقد كانت فتاة غريبة لا يرضيها أن تقوم بما تقوم به غيرها من الفتيات . فمنذ دخلت المدرسة ، على الرغم من ارادتى ، وهى تلقى كل تشجيع واطراء من أساتذتها ، وكانت تقضى أوقات فراغها فى المطالعة والاستذكار . ونجحت فى النهاية فى حياتها المدرسية وصرحت اذ ذاك بأنها لا ترضى أن تتزوج من عامل بسيط . وكذلك رفضت أن تبحث عن عمل تساعدنا بواسطة أجره ، وأصرت على ضرورة الاستمرار في الدرس . وكم كنت غبية ضعيفة القلب اذ ذاك حتى تركتها تنفذ مشيئتها .

ولكن نانسى على الرغم من ذلك كله ما كانت تكره العامل توم ، بل كانت تسمح له بالنزهة في صحبته وتحضه دائما على الدرس والاستذكار مثلها ولكنه كان يسخر من ذلك دائما . وكان توم جميل الشكل عريض الكتفين تحبه أى فتاة . . . ولذا اقتنعت ابنتى به الى اليوم الذى صادفت فيه « اليوت كينج »

كان اليوت كينج هذا من عائلة شريفة غنية ، وكان أنيق الملبس جميل الهيئة تتجلى الرقة على سيمائه . وما كاد يوصل نانسى بسيارته ، في يوم من الأيام ، الى منزلنا حتى خرج أهل الحى كله من منازلهم لرؤية ذلك الطارق الغريب الذى لم يتعودوا رؤية أمثاله فى طرقهم وقد راقبت نانسى وهى تبسم له حين نزلت من السيارة ، وراقبت نظرته اليها فأدركت أن ابنتى قد أوقعت هذا الشاب الجميل فى شباك غرامها . وما كادت تدخل المنزل حتى بادرت أنا ووالدها الى سؤالها عن هذا الشأن الجميل فقالت :

ـــ انه أحد زملائى في الجامعة .

ومع انى كنت أعرف أن نانسى تكره كثرة الأسئلة أخذت استفهم منها عن اسمه وعائلته ومسكنه . وسارت الحياة فى مجراها العادى .

وفى يوم احتفال عام خرجت ابنتى عند الظهر ورجعت عند منتصف الليل وقد احمر وجهها ، وأخذت تحدثنى عما شاهدت في ذلك الاحتفال وعن الذين رأتهم وحادثتهم وكيف قضت وقتها مع انها كانت فى الماضى قليلة الحديث .

وأخذت أنظر الى الساعة لأبين لها عدم رضائى عن تأخرها مع شاب غريب الى ذلك الوقت من الليل

ولكنها تظاهرت بانها لا تفهم ما أرمى اليه فخاطبتها بصراحة وقلت لها :

— من الخير يا نانسى ألا تخرجى عن الوسط الذى ولدت فيه ومن الخير كذلك ألا تهملى توم من أجل ذلك الشاب الغنى الذى اتصلت به منذ مدة قريبة . ان ابنة عامل بسيط لا يصح أن ترتاد الطرقات العامة وتذهب الى المراقص فسيسبب لك كل هذا متاعب كثيرة ومن ثم لن يهتم بك توم . . .

اذ ذاك تبينت الغضب على وجه ابنتى ولم يكن منها إلا أن ادارت لى وجهها ولم أسمع منها غير :

— توم !! ومن يهتم به ؟!

واستمرت على عبثها وحياتها فكانت تقضى أغلب أوقاتها فى الجامعة أو مع أصدقائها الجدد . وما كانت تهمل دروسها على الرغم من ذلك . وفي فصل الصيف سافر صديقها اليوت مع عائلته الى أوربا فقللت من خروجها للنزهة، ولسوء الحظ توفى والدها بعد مدة قصيرة ولم يكن لى ولها عائل غيره ، ولذا كان من الضرورى أن تهجر الجامعة والدرس لتبحث عن عمل ترتزق منه لتعول نفسها وتعولنى معها . وفى النهاية عثرت على وظيفة بائعة فى محل أعد لبيع الاحذية ، وكنت أعرف أنها قد ارتضت العمل وهجر الدرس كارهة ولكنها لم تعترض على مشيئة الأقدار . ولم تهجر الدرس مع ذلك فقد أخذت تتعلم الكتابة بواسطة الآلة الكاتبة ثم مالبثت أن أخذت تذهب الى مدرسة ليلية لتعلم الاختزال . وبعد ذلك هجرت وظيفة البائعة ووجدت وظيفة أخرى أكبر أجرا منها بكثير . وكنت أعلم أن صديقها إليوت سيهملها عقب عودته من أوربا حين يعرف أنها غادرت الجامعة وأصبحت كاتبة بسيطة . وفي ذلك الوقت كانت تقضى الى جانبى بالمنزل اكثر أوقات فراغها وهى تحدثنى عن شئونها وكثيرا ما كان توم يزورنا ليشترك فى حديثنا .

***

وقد وصل الى علم والدى اليوت ان ابنهما يصادق فتاة فقيرة ويكثر من النزهة معها ولذا فانهما هدداه وطلبا اليه أن يمتنع عن مقابلة هذه الفتاة وخاصة لأن تلك السنة كانت الأخيرة من حياته الجامعية . ولما كان الفتى لايبلغ سن الرشد بعد ويتناول المال اللازم له من والديه فقد اضطر أن يخضع لمشيئتهما . وقد حزنت نانسى لانقطاع الصلة بينها وبين اليوت ولكنها لم تظهر أقل اهتمام حتى تأكدت أن كل ماخلفه ذلك كان جرحا صغيرا لكبريائها .

وقلت لها وقد شعرت بالفوز :

— ألم أخبرك يانانسى ! أن اليوت ليس من طبقتك الاجتماعية ... واذا حدث في يوم من الأيام أن أحببت مثل هذا الشخص فستفشلين ولا ينالك من وراء ذلك الا الحزن. اننى أعرف أكثر منك يابنتى .. واذا كانت لك رغبة في الزواج فاليك توم فهو شاب هادئ رزين مقبول الشكل ومن نفس طبقتك ... اقبلى نصحى وانسى ذلك الشاب الغنى وارجعى الى توم تصبك السعادة من هذا . . . .

فهزت كتفها وقالت :

— لا يجمعنى بتوم غير هذا الحى الذى ولدنا فيه .. أما فيما عدا ذلك فان آراءنا لاتتفق ، أما اليوت ....

وهنا سكتت ثم وضعت رأسها على كتفى وقالت :

— انى واثقة أن أمه قد جعلته يقسم بشرفه ألا يقابلنى . . .

ثم همست :

— انه يحبنى وأنا أحبه !

فقلت لها برعب ظاهر :

— وهل كان بينك وبينه مايحمر له وجهك خجلا؟

اذ ذاك كان الجواب فى غضبها الظاهر وهى تقول :

— أماه ! أأنت قليلة الثقة بى الى هذا الحد ؟ ؟

فقلت لها :

— اننى أثق بك يابنتى .. ولكن الطبيعة الانسانية لا تتغير ... وهذا الشاب لاينوى الزواج منك حتى اذا كان يحبك حقا ، فهل تحدث اليك عن الزواج ؟

فاجابتنى بشجاعة :

— كلا ! ولكننى أعرف أنه لم ينته من حياته الجامعية وهو لا يمكنه أن يفكر في شيء من ذلك قبل الانتهاء منها . . وهو يعرف أنه من الظلم بالنسبة الى أن يقيدنى بطلب زواجه منذ الآن ...

فأجبتها محذرة :

— يجب أن تعلمى يانانسى أنه لن يطلب منك يدك أبداً واذا لم تعودى الى صوابك ضللت طريق الصواب ويجب أن تشكرى المقادير التى جعلت أمه تتدخل فى المسألة فقد أنقذتك من عذاب وازعاج . . ان الأمهات يعرفن الحقيقة .

نظرت الى نانسى نظرة طويلة كأنها تريد أن تتأكد من صحة ما أقول ثم أسرعت الى غرفتها تبكى . لاريب أنى كنت مخطئة في ظنى ولكنى كنت أحدثها عن الحياة إذ ذاك وعن الرجال والنساء وما يكون بينهم . ولما لم تسمع خبرا من اليوت أخذت تكثر من الصمت والحزن حتى كادت تصدق كلماتى

ولكن قبل عيد الميلاد حدث أن وصل الى نانسى خطاب ومعه كتاب : وقرأت فى الخطاب ما يلى :

« عزيزتى نانسى

« لقد وعدت ألا أراك أو أتصل بك قبل عيد ميلادى الآتى فى شهر فبراير المقبل ولكن لا يسعنى أن أدع عيد الميلاد يمر دون أن أعرفك أن المسألة مسألة وقت فقط ويجب أن ننتظر مدة وجيزة تتحقق بعدها كل أحلامنا .. وأرجو لك عيدا سعيدا ... « اليوت »

كانت نانسى إذ ذاك على وشك أن تنسى اليوت وتصدق أقوالى التى ذكرتها لها عنه ، وكنت أراقب توم وهو يزيد صلة بها ويكتسب حبها بالتدريج فأسر لذلك وكان خطاب اليوت وكتابه يفسدان كل خططى التى دبرتها ، ولذا صممت على اتلافهما وعدم اخبار نانسى بهما . وقد فعلت ذلك .

وبدأت نانسى تميل الى توم وأخذ هو يصطحبها إلى الملاهى والمراقص ويقدم اليها هدايا بسيطة حتى أيقنت من قرب فوزه بها .

وفى ليلة عيد الميلاد بينما كانت تستعد للخروج بصحبته الى أحد الملاهى نظرت الى وقالت :

— أماه ، هل تظنين حقا أن زواجى من توم يكون زواجا سعيداً ؟؟

ونظرت اليها فأدركت إذ ذاك أنها رائعة الجمال وانها أشبه بزهرة جميلة الرائحة ، وسررت لأنها بدأت تدرك الحقيقة وأصبحت تميل الى توم والزواج منه فقلت لها :

— لاريب فى أنه يكون زواجا سعيداً يا ابنتى . وقد تخطئين اذا ظننت انك تختلفين عن توم فانكما من أبناء طبقة واحدة ، وقد اعتدتما نوعا واحدا من الحياة ، وستتفقان فى كل شىء بعد الزواج . . وتوم مقبول الشكل بل يمكن القول انه جميل . . .

فقالت بخجل : ان توم جميل الشكل وأنا لا أعترض على ذلك ولكن يظهر ان حبه من النوع الحيوانى . . . وكأنه يريد أن يستولى على بأى الطرق . . .

فأجبتها :

— أيتها الغبية ... كل الرجال كذلك ! وكلما سويت الأمور بسرعة وتم زواجك زدت سعادة وراحة . .

لقد أخطأت بلا ريب اولا كنت أعرف الحقيقة وان توم لا يريد من ابنتى غير جسمها وستنطفى شعلة حبه بمجرد استيلائه على ذلك الجسم لكنت نصحتها نصيحة مخالفة لهذه . . .

وفي تلك الليلة أخذت أنتظر عودتهما وأنا أصغى الى أقل حركة تحدث : وسمعت ابنتى فى النهاية وهى تودعه وتقول له « مساء الخير » فقمت وسرت على أطراف قدمى حتى رأيته لم يقنع بهذا الوداع بل أمسك بها بقوة بين ذراعيه وأخذ يمطر وجهها وابلا من قبلاته وهى تحاول أن تتخلص منه دون أن تتمكن من ذلك . وكلما تابعت محاولتها زادها هو ضما اليه . فما كان منى فى النهاية إلا أن فاجأتهما وهما على هذه الحال وتظاهرت بانى لا أفهم شيئا مما يحدث وقلت لهما :

— ياالسعادتى ! انها مفاجأة سارة وليس هناك ما يسرنى قبل موتى أكثر من ذلك .. ها أنذى أحيى ابنى الجديد . . .

وتقدمت من توم وقبلته على جبهته وقد ظهر الاستغراب على وجهه حتى لم يتمكن من النطق . وكان من السهل على بعد ذلك أن أتم هذا الزواج . فما كانت ابنتى تقوى على الاعتراض مادمت قد فاجأتها مع توم وهما على تلك الحالة فأذعنت لمشيئتى

وتم زواجهما فى حفلة بسيطة حضرها كل أهل الحى وسافرا مدة يومين ثم عادا وقطنا معى فى نفس المنزل وقد تخليت لهما عن أجمل غرفه.

وفى يوم من أيام شهر فبراير وصل الى المنزل الشاب اليوت كينج وقد تجلى الاستغراب على وجهه حين سمع بنبأ زواج نانسى. وشحب وجهه وأنا أسأله قائلة:

— هل جئت لتهنئ نانسى بزواجها؟

وكذلك لم تكن نانسى قد عادت من عملها بعد، ولذا فقد أخذت أخبره أنها سعيدة بزواجها وانها عثرت على زوج من خيرة الرجال فأجابنى ببطء:

— انى أتمنى لها كل خير... ولكننى مضطرب حقا ان والدى قد جعلانى أعدهما ألا أرى نانسى قبل عيد ميلادى الذى كان بالأمس، ولكن على الرغم من ذلك فقد كنت على ثقة من أنهما سيرحبان بنانسى مثل ابنتهما بمجرد أن يطلق سراحى ويسمح لى أن أقدمها اليهما...

فقاطعته قائلة:

— هل تريد بذلك أنك كنت تنوى الزواج منها حقا؟

ورأيت الحب يتجلى على وجه ذلك الشاب المخلص، ومع أن توم، زوج ابنتى، كان يفوقه جمالا الا أنه كان لا يوازيه رقة وقال لى بصوت يتجلى فيه الصدق:

— وهل كان يمكنك أن تظنى غير ذلك ياسيدتى؟؟

فقلت له:

— وعلى كل حال فقد استغربنا أنا وابنتى وتساءلنا عن سبب انقطاعك عنها وظننا أنك وجدتها غير أهل لمحبتك...

فقال لى برعب ظاهر لم يؤثر فى أقل تأثير اذ كان كل همى اذ ذاك أن أبعده عن المنزل الى الأبد:

— وهل ظلت نانسى كذلك؟؟

فأجبته:

— بكل تأكيد، فاذا أحب شاب غنى فتاة فقيرة ولم يطلب الزواج منها ثم أهملها فجأة ماذا يكون معنى ذلك؟؟ وعلى أى حال فقد انتهى الأمر، فان نانسى فتاة طيبة القلب، وقد تزوجت رجلا جميلا حسن الخلق.. أما أنت فقد حضرت متأخرا. فقال بلهجة غريبة:

وأمسك بها بقوة بين ذراعيه وأخذ يقبلها وهى تحاول أن تتخلص منه

هذا ما استنتجته

ثم وقف ومد يده الى وقبل أن يخرج قال لى بصوت يظهر فيه التأثر :

ـ أرجو أن تخبرى نانسى اننى لم أتمكن من انتظارها اليوم ، واننى أرجو لها فى حياتها كل سعادة .

وغادر المنزل فشعرت بالراحة والطمأنينة ولم يخطر ببالى أنه سيقابل نانسى بالقرب من المنزل وانها سترافقه في سيارته وهى تبكى على كتفه وتأسف على كل شىء حدث . وهو يقود السيارة دون أن يعلم الى أين . . . مدة ساعة تقريبا . ولم تخبرنى هى عن ذاك الا فيما بعد . ولم يدر بخلدى شىء مما حدث حين رأيتها عند عودتها الى المنزل وقد ظهر الحزن والصمت والتفكير العميق عليها . ولكننى أعرف أنهما لم يتقابلا عقب ذلك واضطرت نانسى الى ترك وظيفتها ولازمت المنزل حيث أخذنا نستعد للطفل الذى سترزقه بعد مدة قصيرة وكانت نانسى تزداد حزنا اذ أن زوجها بدأ يهملها ويسىء معاملتها وأصبح يقضى أكثر أوقاته خارج المنزل في الحانات والمشارب

وعلى الرغم من ذلك ظلت ابنتى نانسى على اخلاصها وعنايتها بزوجها . وكان هو قد بدأ يهملها منذ عودتهما من رحلتهما القصيرة بعد حفلة الزواج ، وكأنه قد قنع من الزواج بأنه قضى لبانته منها . . . وفى المدة السابقة لولادة الطفل أخذ يكثر من التغيب عن المنزل ، ويكثر من شرب الخمر والتنزه مع سيدات وفتيات لا نعرفهن وما كان يؤبه بآلامنا

. كانت نانسى تتألم من أجل ذلك ولكنها ظلت على صمتها . وكنت ألاحظ الحزن فى عينيها ..

وفى ذات يوم كنت فى غرفتى أحيك قطعة من الملابس وسمعت وقع أقدام توم وهو يستعد للخروج . وكانت نانسى جالسة في البهو تنظر من النافذة ولما كان باب غرفتى مفتوحا فقد سمعت صوتها الرائق وهى تقول له :

ـ توم ، أرجوك ألا تخرج هذه الليلة ...

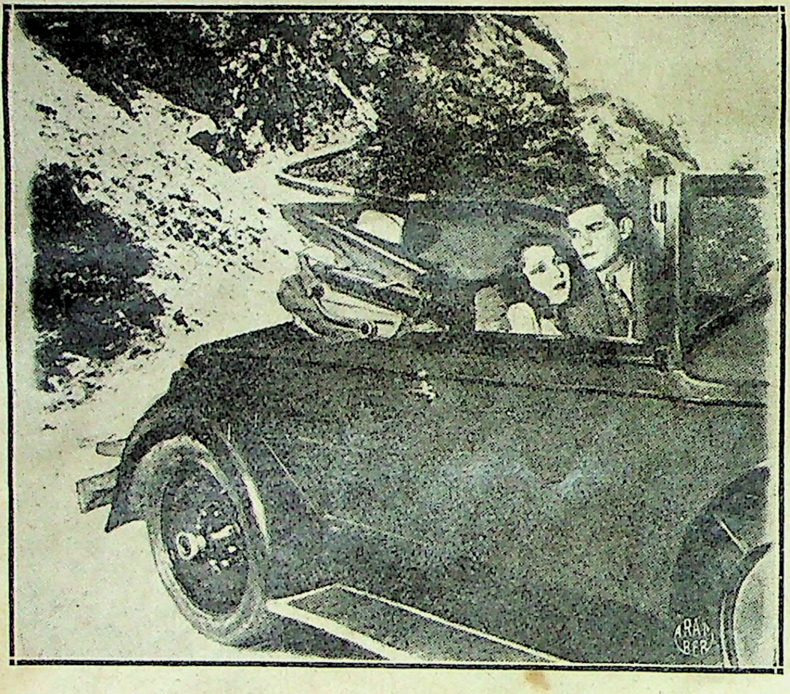

أخذ اليوت يقود السيارة مدة ساعة تقريباً وهو لايعلم الى اين ، ونانسى تبكى على كتفه

وسمعته يجيبها بصوت أجش :

ـ أوه . . . اسكتى . . . ولم لا ؟ وهل يخطر ببالك أن أمكث هنا لأنظر الى وجهك؟ فصوت (الراديو) يزعجك والتبغ يجلب لك المرض . . . يالك من زوجة جميلة ! اننى ذاهب الى أناس ليست لهم غرابة أطوارك .

واستمرت هى على الحاحها فقالت له :

ـ أرجوك ياتوم أن تمكث ... أين كبرياؤك ؟ ألم تسمع تلك الفتاة الرقيعة جلاديز وهى تفخر بين أهل الحى وتصيح بملء صوتها أنك قد عدت اليها ؟! اننى آسفة جدا لأننى أصبحت لا أروق فى نظرك ولكننى سأجتهد في تحسين خلقى . . . واذا مكثت هنا خرجت معك للذهاب الى دار السينما ...

ووقفت وسارت اليه ثم وضعت يدها على ذراعه ولكنه ضحك بصوت أجش وأجابها :

ـ أبعدى يدك .. وهل تظنين اننى أرضى الخروج معك وأنت فى هذه الهيئة ؟ ؟

... سمعت عقب ذلك صوت وقوع جسم على الأرض وصوت صيحة خافتة فأسرعت بالنزول واذا بى أجد ابنتى ملقاة على الأرض وقد ظهر الخجل البسيط على وجه زوجها وهو يقول :

ـ اننى دفعتها عنى بكل لطف !

وأمرته أن يساعدنى على رفعها عن الأرض وذهب فى الحال ليستدعى الطبيب . وقضت المسكينة ليلتها تتألم وتتوجع . وفى اليوم التالى ولدت الطفل ميتا من أثر وقوعها على الأرض ، وكان فى موت الطفل موت حياتهما وحبهما أيضا .

ومرضت نانسى بعد ذلك مرضا طويلا ولما شفيت منه رفضت أن تغير من نظام المنزل الداخلى الذى كنت وضعته ابان مرضها ، وتفصيل : ذلك اننى كنت أنام معها فى غرفتها وتخليت لزوجها عن غرفتى . وبذلك أصبح زوجها وحده ... وما كادت تتمالك قواها حتى أخذت في البحث عن عمل وأصبح منزلنا شبه قبر مظلم لا يضم سوى زوجة حزينة صامته وزوج مستهتر سيء الخلق . وأنا أحاول تسوية كل شى دون أن أفلح في ذلك . وقد أشرت اليها فى حديثى ذات يوم أنها لو ولدت طفلا آخر لتحسنت صلاتهما فما كان منها إلا أن هزت كتفيها وأجابتنى إجابة لن أنساها البتة اذ قالت :

ـ لا !! لن يكون ابن توم ابدا !!

وقد أخطأت مرة أخرى . فقد أخبرتنى ابنتى عقب ذلك انها ستطلب الطلاق من توم . وأخبرتنى ان المحامى الذى تشتغل في مكتبه قد اخبرها ان فى امكانها اتمام ذلك بسهوله وقالت لى :

ان لدى براهين كثيرة ... فقد كان توم يخوننى منذ يوم زواجى منه ... وقد أخبرنى المحامى اننى لن أتعب كثيرا فى طلب الطلاق ...

فأجبتها :

ـ نانسى ! اننى أموت اذا طلقت من توم ، وكيف يمكننى أن أرفع رأسى بعد ذلك ... ان كثيرين من الأزواج يخونون زوجاتهم . عدينى ألا تفعلى ذلك ..

وأمسكت بها فقالت :

ـ ولكن يا أماه ! انها ليست سعادتك بل هى سعادتى أنا ...

فأخذت فى البكاء وقلت لها :

ـ فكرى فى سنى وشعرى الأبيض . هل ترغبين أن تجلبي لى العار بهذه الطريقة ... وماذا يقول عنا جيراننا ؟! .. اواه ، ياقلبى !

وظهر الاستغراب على وجهها فسألتنى :

ـ بماذا تشعرين ؟ هل أنت مريضة ؟ ؟

ورأيت انه يجب أن استغل هذا الظرف فكذبت عليها مرة أخرى وقلت لها :

ـ انى لا أود اخبارك بشىء من مرضى ، ولكن الطبيب أنذرنى بأن أى حزن أو ازعاج قد يسبب وفاتى ..

وخجلت من مظاهر الشفقة التى ظهرت على وجهها فما كان منى إلا أن وضعت وجهى بين يدى ، وفى اللحظة التالية كانت قد ركعت الى جانب مقعدى وطوقتنى بذراعيها وهى تقول :

ـ أمى العزيزة ! لقد كنت لى دائما خير صديق ومعين فاطمئنى فلن أفعل شيئا ولن أطلب الطلاق ..

وعلى ذلك انتهت المسألة .

وكانت نانسى مغرمة بالموسيقى وكنا نهزأ منها على هذا الميل فلا تؤبه لذلك وتستمر على حضور حفلاتها ! وكثر ما منعها توم عن حضور الحفلات الموسيقية ساخرا بذلك الميل ومشفقا على نقوده أن تصرف فيما لا طائل تحته

وحدث في يوم أحد ، بعد أن اثنيت عزم نانسى عن طلب الطلاق ، أن أخبرتنى وقت الغداء انها ستذهب فى ذلك المساء لحضور حفلة موسيقية وطلبت الى الذهاب معها ولكنى أخبرتها أنى سأذهب الى دار السينما مع بعض الجيران وطلبت منها أن تصطحب توم ، أما هو فقد سخر

من هذه الفكرة وقال: انه لا يقضى أوقات فراغه فى سماع الأصوات المزعجة وانه يشفق على النقود التى يكتسبها بعرق جبينه ن تدفع لحضور حفلة موسيقية !!

ولم تجبه نانسى على سخريته وخرجت من المنزل بسكون بعد أن أخبرتنا أنها لن تتناول طعام العشاء معنا وفى ذلك المساء، عند الساعة الحادية عشرة وأنا عائدة من دار السينما رأيت سيارة فخمة مقبلة نحو منزلنا

وتردد هو فى بادىء الأمر ثم تبعها الى داخل المنزل

وفى اللحظة التالية وجدت توم، زوج ابنتى، وهو مقبل نحو المنزل وقد أمسك عشيقته جلاديز بذراعه ويشرب من زجاجة خمر باليد الثانية، ولكن قد لحظ نانسى وهى تدخل المنزل مع صديقها اليوت. ودخل توم الى المنزل وتبعته أنا فسمعته يلعن اليوت كينج ويلكمه فى وجهه لكمة قوية لم يكن الشاب مستعداً للتنحى عنها،

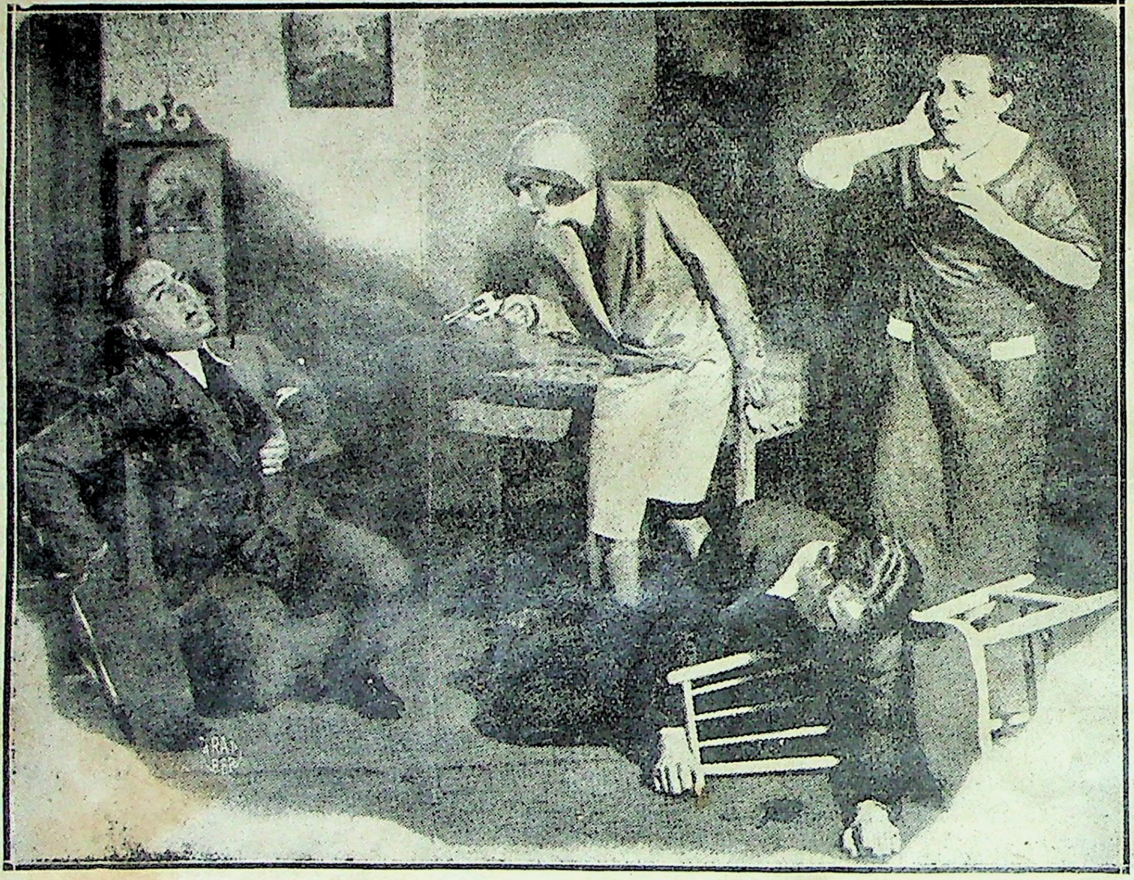

وسقط اليوت على الارض والدم ينفجر من جرح برأسه وحضرت نانسى بعد أن سمعت صياح أمها وأطلقت النار على زوجها فخر مضرجا بدمه

ونزلت منها ابنتى نانسى ثم صديقها السابق اليوت كينج وقد عرفت فيما بعد انهما تقابلا مصادفة عقب خروجهما من الحفلة الموسيقية وأنه عرض عليها أن يوصلها الى المنزل بسيارته فقبلت. ولما نزلت سمعتها تقول له:

— ألا تدخل لتمكث عندنا فترة قصيرة!

وفى اللحظة التالية وقع اليوت كينج على الأرض والدم ينفجر من جرح عميق فى رأسه وأخذت أنا أصيح بجنون:

— آه... لقد قتلته!! أيها المجرم...

وسمعت نانسى صيحتى، وكانت فى الغرفة الأخرى

فما لبثت أن فتحت درجا صغيرا أخرجت منه مسدس توم ودخلت الى الغرفة وأطلقته في صدره فخر مضرجاً بدمائه . وفي اللحظة التالية كان المنزل قد امتلأ بالجيران الذين حضروا على أصوات الرصاص ، وسمعت ابنتي نانسي تخاطبهم قائلة :

ـ ها أنذا قد قتلته ... فاقبضوا على !

وقبضوا عليها وقدمت المحاكمة وتقدم المحامى الذى كانت تشتغل لديه للدفاع عنها وتمكن من تبرئتها بعد أن كانت الصحف والرأى العام ضدها .

ولم يكن اليوت كينج قد مات . اذ أن اللكمة التى تلقاها من توم قد جرحته واغمى عليه .. وسافر بعد شفائه الى أوروبا لينسى كل شيء كما أخبر نانسى بذلك !

وعلى الرغم من براءة ابنتى أخذ الجميع ينظرون الينا باحتقار وازدراء وقاطعونا مقاطعة تامة . وطلبت منى ابنتى أن ننتقل الى منزل آخر فرفضت وأخبرتها أننى أفضل الموت على مغادرة منزلى . اذ ذاك ثارت ضدى وكانت محقة فى ذلك ... وقصت على كل ماصنعته وكيف كنت السبب فى شقائها اذ حرمتها من حبيبها . وكدت أجن وهى تعيد القصة على مسامعى وهددتنى فى النهاية بأنها ستفارقنى لتعمل وتكتسب قوتها ..

ولا يزال صوتها يرن فى أذنى اليوم وهى تقول :

ـ سأفارقك ... سأفارقك يا أماه ! فلا تقلقى على اذا لم أعد !

ورحلت ابنتى ! فاذا ماجن الليل ولم تعد بعد انتابنى القلق ... الى الفجر ... بل الى الصباح التالى ... حين دخل الى منزلى ثلاثة رجال غرباء يحملون جثة هامدة ... اذ ذاك فقط أدركت الى أى مدى قد ظلمت ابنتى وقضيت على حياتها وأنا لا أشعر !

. . . .

أواه ! هل دفنوا ابنتى هذا الصباح ! أم أن ذلك كان في الأسبوع الماضى ؟؟ ابنتى الجميلة الوحيدة التى لم تبلغ سنها اثنين وعشرين عاما !! ولم يتركوا لى غير وخزات الضمير والندم والأسف والحزن على ما قدمت يداى !! رباه ! رفقا بى ورحمة ! أرحنى من عبء الحياة بعد ذلك . واجمعنى بها ..

السيدة الرشيقة

لا تلبس الحزام أو الكورسيه
الا اذا كان مفصلا على مقاسها
فاشترى اذاً حزامك من محل :

احزمة فيمينا
للسيدات
٢ شارع فؤاد الأول
تليفون ٤٩٩٦٦ عتبة
المركز العمومى
محلات

حزام بارير
بميدان الخازندار — تليفون ٣٤٩٥ مدينة
تاسست منذ ٣٠ سنة بمصر
خدم خلالها آلاف السيدات والجراحين
والمستشفيات ومستعد لتلبية الطلبات
فى المنازل

الجديد

هى المجلة الفريدة فى تنوعها . الشيقة فى ابوابها . الغنية فى موادها . الممتعة فى معانيها وصورها

وهى المجلة الوحيدة التى تجد فيها كل طبقة من طبقات الأمة ما يلذها ويسليها

حافظ على قراءتها كل اسبوع

تطلعك على كل جديد من علم وأدب واختراع

اشتراكها السنوى للجمهور فى مصر		ستون قرشا
« « للطلبة	«	خمسة وأربعون قرشا
« مع شهرزاد للجمهور	«	مائة قرش
« « للطلبة	«	سبعون قرشاً

تصدر بتاريخ الاثنين من كل اسبوع .

مطبعة الجديد بشارع فؤاد الأول رقم ٦٤ — مصر